هوليود الإسلام الجديد

إلهام أحمد هاشم
(أم حسنين)

دار المحجة البيضاء

٢١٩,٢
ه م ه

هوليود الإسلام الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

هوليود الإسلام الجديد

الإمام أحمد هاشم

(أم حسنين)

دار المحجة البيضاء

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت لبنان

حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء الأصغر

إلى والدي الصادق الأمين رحمه الله ووالدتي الكريمة

والذي حاول جاهداً أن يربينا على هذا وندعوه سبحانه أن تكون تربيته أعطت ثمارها النافعة بي وباخوتي جميعاً لنكون فعلاً أولاد

أحمد جعفر هاشم

فقد كانت قواعد تربيته

إن الكذب هو طريق الفجور (والعياذ بالله)

ولهذا كان صادقاً في كل شيء

وانبثق عن هذا الصدق، الشجاعة والإقدام على حمل الأمانة التي

رزقها سبحانه وتعالى في مجتمعه الصغير ومجتمعه الكبير

كان رحيماً عطوفاً عادلاً بين أولاده جميعاً

وكان معطاءً لكل من يحتاجه (وباحترام)

وكان مؤمناً تقياً في كل أموره ورفض كل مغريات الدنيا

من أجل مبادئ الإسلام الحقيقي وإن اضطر يوماً

أن يفترش الأرض ويلتحف السماء.

فقد كان

شجاعاً شجاعة الشجعان

لا يخاف في الحق لومة لائم

ولم يضع يوماً رقبته تحت سيف أحد

إلا رحمة الله رب العالمين

اللّهم اجعلنا من خلفائه الحقيقيين

وأخوتي جميعاً لاستكمال مسيرته

وكم أتمناها لكل مسلم حقيقي

إلهه

(الله الواحد القهار الذي لا إله إلا هو)

لكي يكون المسلم

صاحب الجلالة والقيم العالية

وصاحب التوحيد

وصاحب جلباب إسلامي ناصع

بطاعته المطلقة لله ورسوله وأولي الأمر الرحمانيين والعادلين

بأن لا يكون

هوليودياً

لا بتقنية قديمة

ولا بتقنية حديثة

وبالله نستعين

والحمد لله رب العالمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء الأكبر

إلى من يحاول بكل جهد وجهاد أن يخلِّص بلده
الغالي من براثن الفتنة الطائفية من محاولات
البعض القليل الذين استسلموا

للهوليودية الإستكبارية

ولا يدركون مدى خطورة الدمار والتخريب الذي سينشأ
عن هذا الاستسلام.
بل وسيكون وبالاً عليهم أولاً قبل غيرهم
وكم من الصور الحية تصدُّق هذا الخطر العظيم على الجميع
باستسلامنا لهم والعياذ بالله.
وبعد أن أبدع كمجاهد بالجهاد الأصغر
نضع عنده آمالنا كإنسان عادي بأن يكون أكثر إبداعاً وجهاداً
بالجهاد الأكبر
بأن يحاول أن يستأصل الفتنة الكبرى في مجتمعاتنا
الإسلامية والإنسانية ألا وهي

(الزنى)

أعانك الله على تطبيق شرع الله
الرحيم بالعباد

الرحمن بالنساء كل النساء

وأعانك الله

على اتّباع تعليماته المجسّدة بكل أنبيائه ورسله

وخاصة خاتمهم النبي الأرحم الذي استأصل

هذا الداء الاجتماعي البغيض

وعاد هذا الداء من جديد بعد أن

تخلف المتخلفون عن سنته

وسكت الساكتون عن تخلفهم

وقلّد المقلّدون لأفعالهم

إلى الأخ المناضل والمجاهد والإنسان

السيد حسن نصر الله

وكل المخلصين مع شعوبهم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

وبه نستعين

بعد أن كان النبي الأرحم برسالته السماوية قد رفع الأمة العربية من الحضيض إلى أعلى قمم الأخلاق والحضارة الإنسانية.

وعندما استبيحت مدينته في عام ٦٢هـ على يد مسلم بن عقبة بالنهب والسلب والفسق والفساد ولمدة ثلاثة أيام.

وسكت الساكتون وبدأ المقلّدون.

انطلقت الهوليودية القديمة ولكن بتقنية النفوس المتأخرة وكانت الجاهلية الوسطى.

لأنها كانت تستتر بستار إسلامي خارجي.

وبدأت تتسع دائرة الداخل بفراغها إلى أن أوشكت على كسر الخارج لا سمح الله.

والآن تأتي الهوليودية الغربية بتقنية تكنولوجية عالية.

ولكنها في الاتجاه المدمِّر للنفوس من أجل الفلوس.

وأصبحت الجاهلية الكبرى تسيطر على عقولنا وقلوبنا والسؤال إلى أين؟

لأن المسلمين لم يعودوا يشعرون بأنهم يحملون شيئاً يحتاج العالم إليه وانسحبوا.

بل انتحر معظمهم وكان انتحارهم على درجات.

فمنهم من انتحر بالسكوت والاستسلام.

ومنهم من انتحر وتفاعل معهم بل وكان عميلاً لهم.

ومنهم من انتحر وتفاعل مع الفسق والفجور والدعارة والمخدرات كما أرادته هوليود الغرب.

وأكبر انتحار وأشد إيلاماً.

من انتحر بالسبحة.

وكان سكوته أعظم من الداء.

ولم يعرف أن الساكت عن الحق شيطان أخرس.

وكان هناك من يصرخ ويصرخ.

لعلَّ الأصوات تصل إلى مسامع هؤلاء المنتحرين..

بالسبحة

وإلى مسامع هؤلاء المنتحرين في دنياهم بالفسق والفجور.

وإلى مسامع هؤلاء الذين باعوا أنفسهم للشيطان الأكبر. وكانوا عوناً له على شعوبهم بالإثم والعدوان.

وعمّقوا الجاهلية الكبرى..

لعل هذا الصراخ يوقظ الضمائر ويحرك المشاعر ويوجّه المضلّلين إلى سواء الصراط.

وما زال هذا الصراخ يرتفع من قلوب معذبة من أجل إخوتهم في الإنسانية والدين والذين سقطوا.

في الجاهلية الصغرى.

والجاهلية الوسطى.

والجاهلية الكبرى.

وما أصدق هذه الكلمات المعبرة عن قلب يتعذب ويسأل الله سبحانه أن يقوي هذا القلب على الاستمرار بمواجهة الضباب بإرادة قوية مستمدة روحانيتها من الإيمان المطلق بالله وحده.

لأن هذا الضباب أصبح كثيفاً جداً وينذر بالمطر الغزير وبالوابل العظيم.

سيجذ ويقلع كل السدود التي ما زالت منيعة إلى حد ما بإيمانها وتقواها.

وبالله وحده نستعين.

قلب يتعذب[١]

أتراني سوف أقوى على الثبات؟

أتراني سوف أتمكن من التمسك بهذه الخيوط التي تشدني إلى الأمل؟

أتراني استطيع أن أبقي قدميَّ راسختين مع كل ما يدميهما من شوك؟

أتراني أتمكن أن أشد بصري نحو مطلع النور مع كثير ما يحول بيني وبينه من ضباب.

يا لله أي ضباب هو هذا الذي تكاثف ويتكاثف لكي يحجب عني بريق الضياء؟

نعم! أي ضباب هذا الذي يأبى إلا أن يلاحقني فيسد عليَّ منافذ الحياة بعدما أحاول أن أفتحها واسعة رحيبة لكي أنفذ منها ما أريد؟

ولكنني طالما نفذت من خلاله وأنا أعرف أنه ضباب!.. ولكنه الآن عاد أكثر ظلمة وأعمق كثافة.

إنه تمكن من أن يستغفلني فيرسل بعض خيوطه إلى فكري لتعشعش فيه.

---

(١) من كتاب صراع من واقع الحياة «بنت الهدى».

ولهذا فأنا أتساءل كما لم أتساءل من قبل.

أتراني سوف أقوى على الثبات؟

أية قوة هذه التي ستشد من عزيمتي التي أكاد افتقدها..

وأي حارس هذا الذي سوف يحرس فكري عن انفتاحه على خيوط الضباب الكثيف التي سربتها إليه قساوة الحياة.

نعم قساوة الحياة!

فما أقسى أن يتابع الإنسان الذبالة الأخيرة من مصباح أمانيه وهي تنطفىء عطشاً للزيت وهو يعلم أن لا زيت هناك ولكن عليه أن يتابع ذبذبتها بعطف وحنان؟..

ما أقسى الشعور بالنهاية والأقسى منه إذا كانت النهاية بطيئة؟

وما أقسى أن يكافح الإنسان أفواج الحياة وهو يعلم أن لا ساحل هناك!... إنه الكفاح اليائس العقيم.

وما أقسى أن تكون خطوط الغد غير واضحة والأقسى من ذلك أن توجد الخطوط ولكنها متشابكة الأطراف غير واضحة الأبعاد لما يكتنفها من ضباب؟!...

يا لله الضباب مرة ثانية؟!.. إنه لا يريد أن ينفك عني ويأبى أن يتركني بأي شكل من الأشكال..

لعن الله هذا الضباب الظالم المظلم.

إنه يشيع فيَّ القلق ليل نهار.

والقلق ما هو إلا أداة لذلك الإرادة مهما كانت قوية.

ولكن أية إرادة هذه التي سوف يبقي عليها الضباب؟..

أتراني سوف أعود فأزهو بإرادتي من جديد؟...

بإذن الله...

شجاعة الجبناء

الإمام علي عليه السلام : «لا تشركن الجبان في عملك فإنه يضعفك عن العمل ويعظم لك ما ليس هو بعظيم».

لو تميزت الأشياء لكان الصدق مع الشجاعة وكان الجبن مع الكذب فالسخاء والشجاعة غرائز شريفة يضعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتحنه.

إن الله سبحانه وتعالى يعلم أن الخوف سيكون حاجزاً أمام الكثير عن تحمل مسؤولياتهم الإنسانية والإلهية.

والإنسان (وكما يقول حسن الصفّار). هو الذي يمتلك حق توجيه الخوف في نفسه وحياته.

فيجبن ويخاف ساعة يشاء الخوف والجبن.

ويتمرد بشجاعة حينما تقرر إرادته ذلك.

نعم الخوف شيء طبيعي على الذي يتهدده ولكن الخوف الذي يتحول إلى حالة مرضية ينتج عنها خلل نفسي هو الشيء غير الطبيعي ويسميها علماء النفس بمرض (الفوبيا).

وهي حالة من الخوف تتملك الإنسان في حالات مرضية استثنائية والتحليل النفسي يصنفها ضمن الأمراض العصابية.

هذه الأنواع من الأمراض تنشأ عنها شخصية غير متوازنة إلى أن تصل بأن تكون شخصية إجرامية مدمّرة لكل من حولها إذا اصطدمت بمصالح شخصية فإذا كان هذا الاصطدام مباشرة ربما يحوّل هذا الإنسان الخائف إلى وحش لأنه يظن بأنه يتعامل مع الطرف الآخر من مبدأ حياة أو موت له من منظور شخصي ونفعي لأن الإنسان المرتبط كثيراً بجذور الدنيا عندما يشعر أن هذه الجذور ستنقلع من طرف متمثل بشخص ومهما كان هذا الشخص وإن كان ابنه فإنه سيتحول إلى وحش بالدفاع عن نفسه.

وعلى العكس تماماً كالمشاعر التي حرّكت الإمام علياً في ساحة المعركة عندما تغلب على خصمه وعندما وجَّه له هذا الخصم كلمات حاقدة تبرهن عن تصرف لئيم وشخصية خائفة في أعماقها وتتستر ببطولة واهمة.

ولأن الإنسان في طبيعته يتأثر بالكلمة والحركة المباشرة بالشكل الأولي إلا إذا كان في قمة الارتباط بالله وحده فإنه يتفاعل مع هذه الكلمة من منظور رباني وأخلاقي.

فإن كانت تستحق العقاب يباشر ولا يتراجع.

وهكذا فعل الإمام مع هذا الخصم ولأن الكلمة والحركة التي سمعها كانت تمسه شخصياً وهو في معركة من أجل الإسلام ودين الله.

تراجع عن قتله لأنه لم يفكر لحظة بأنه يقاتل دفاعاً عن شخصه ووجوده كإنسان من لحم ودم.

بل كان في كل حركته وتوجهه بأنه يدافع عن حرم الله ودينه.

ولذلك قال له لن أقتلك إلا في سبيل الله.

وكذلك شجاعة الحسين في اختياره الموقع البعيد عن كل أذى للناس العاديين، في محاربته للفاسقين.

فهذه قمة الشجاعة الإلهية التي وضعها سبحانه في نفوس الكرام الذين أحبهم وامتحنهم.

والآن شجاعة الجبناء في هذا الزمان كلها متوجهة نتيجة الخوف الشديد والخوف المرضي في ذواتهم وشخصياتهم أصبحت تتوجه إلى القتل المباشر والقتل غير المباشر والتدمير لكل من يواجه مصالحهم الشخصية والذاتية فيقتلون الأبرياء ويحصدون أجسادهم دون أي وازع ديني وأخلاقي ويقدمون لأنفسهم تفسيرات وتفسيرات لأنهم في أعماق ذواتهم يعرفون تماماً أنه عمل إجرامي وحشي لا ينشأ حتى عن الحيوانات المفترسة.

لأن هذه الحيوانات لا تقوم بقتل الأبرياء بل تقتل دفاعاً عن النفس ونفس الحيوان وكيفية الدفاع عنها يوجهها سبحانه لأنه ليس له عقل، وضمن فطرة معينة وضعها فيهم للتكامل في الحياة، من تنظيم دقيق لا يحيد عن وجهه الصحيح كما رسمه سبحانه.

ولأننا الآن بصدد المرأة وكيف انعكست حركات الخوف المرضي من الشيطان في كل تجسداته.

ويظنون أنفسهم في قمة الشجاعة الأخلاقية والدينية، وهناك نماذج لهذه الآلام التي تعاني منها المرأة اليوم وعندما تتوجه إلى طلب المعونة من أناس جبناء فيكون التنكيل بها ويشخصها.

بذنب أنها احتاجت إلى معونة هؤلاء (الشجعان الجبناء).

تذهب هذه المرأة إلى بعض من وضعوا أنفسهم لمساعدة الضعفاء والمساكين والفقراء وعندما تطلب المعونة المادية وهذه المعونة المادية التي تحتاجها تقدَّر بالمبلغ الفلاني وهو أقل ما يسد حاجة إنسان من تأمين حياة يومية له من مأكل وملبس ومسكن يقي هذا الإنسان حر الشمس وبرودة الجو.

تبدأ شجاعة الجبناء تظهر أمام هذه المرأة فيكون العطاء ليس على قدر الحاجة والاحتياج وإنما على قدر الجمال والدلال وليس على قدر المعونة والطلب بل على قدر الميوعة والاستهتار. ويكون هذا الجبان شجاعاً جداً في البذل والعطاء على حسب احتياجات الآخرين والذين لم ينالوا حتى ما يشبع بطونهم الصغيرة من قلة الطعام. أو ما يطفىء ظمأهم من شدة العطش.

وكذلك إذا كانت هذه المرأة محتاجة إلى السكن والسكينة مع زوج مؤمن تقي فهنا تتمثل وتظهر كل شجاعة الجبناء.

فالكل يصبح مستعداً أن يروي ظمأها العاطفي وعطشها الجسدي ولكن من منظور الخوف المرضي.

فيقول لها أنا مستعد أن أتقرب إلى الله وأساعدك في إطفاء نيران

الحاجة العاطفية والجسدية بأن نكون أصدقاء في السر، أو تحت عنوان الزيجات الجديدة من:

سري - وتسري - ومسيار. والله أعلم ما الأسماء الأخرى.

وهنا تكون المساعدة تتركز على المواهب الخارجية لهذه المرأة أكثر من سابقتيها من:

جمال - ودلال - وامتثال - واحتيال و. . .

والويل لها إذا رفضت هذا العطاء من هذا الباب شبه المفتوح والذي سيُغلق حتماً عند أول استسلام لأن الطالبات كثيرات وستطرق الباب أكثر من محتاجة.

كل ذلك بفضل شجاعة الجبناء السابقين الذين يحاربون بكل شجاعتهم الأبرياء ويقتلون ويذبحون من لا يملك حتى الدفاع عن نفسه ولو بدعاء بسيط لأن أجسادهم تتناثر في الهواء فجأة وبغتة ودون سابق إنذار وكأنهم قمل أو حشرات ضارة وجاء الاجتثاث لهم عبر المبيدات الحشرية الواجب علينا أن نستعملها عندما يستفحل خطرها على الإنسان نفسه والعياذ بالله.

مع العلم أن محاربة مثل هذه الحشرات منوطة ببرنامج صحي منظم حتى لا يكون هناك عشوائية في القتل والتدمير والإبادة بطرق لا تضر الحشرات الأخرى والتي وجدت لما خلقها الله سبحانه لغرض معين وكما وضع الله لنا سبحانه وتعالى البرامج والتعليمات لكيفية سد إحتياج وحاجات الناس بحيث لا يطغى أحد على أحد وبحيث كل إنسان يأخذ حقه ويعطي واجبه.

وقد شرحنا في كتابنا السابق (شرع الشيطان) كيفية حصول المرأة كل امرأة على حقها من السكن والسكينة والمأكل والملبس وهذا من ضمن حقوقها الطبيعية والبديهية والفطرية والتي يحاول الآن تأويلها هؤلاء الجبناء بشجاعة موهومة بأنهم يظنون أنهم يحترمون نساءهم اللواتي بين أيديهم ويكون على حساب احتياجات الأخريات بل الأكثر عدداً من المحتاجات إلى نفس الحاجة التي أخذتها هذه المرأة التي بين أيديهم المتمثلة في زوجة لهم. ولو أن شجاعة هؤلاء الجبناء توجهت إلى شجاعة حقيقية ووضعت الأمور في نصابها الواقعي فستكون حتماً شجاعة الشهامة والعدل والكرامة.

وكما يقول الكاتب عبد الرحمن بن حمد الجلالي، في كتابه شبهات في طريق المرأة المسلمة، ونقلاً عن كتاب (فضل تعدد الزوجات)، بأن في تعدد الزوجات ضماناً اجتماعياً لعدد من النساء حيث فرض الله سبحانه نفقة المرأة على زوجها بل إن نفقة الزوجة تتقدم جميع النفقات. لسائر الأقارب ولذلك فإن الإسلام يكلف في هذه الظروف الزوج بالنفقة على مجموعة من النساء بل مجموعة من الأُسر.

ولو عطلنا هذا الجانب من التشريع لأوجدنا خللاً اقتصادياً وعوزاً لمجموعة من النساء لم يتسع لهن المجال.

وهذا يشكل خطورة اجتماعية وأخلاقية واقتصادية بل قد تضطر المرأة إلى تكفف الناس ولربما تسقط أخلاقها وتتنازل عن شرفها من جراء هذا الخلل الاجتماعي.

لكن حكمة الله اقتضت التعدد لرأب هذا النوع ولا عجب لهذا النظام من لدن حكيم خبير في كتاب أُحكمت آياته ثم فصلت.

وأما، الذين يتباكون على المرأة وهم ألدُّ أعدائها فقد يدرك الكثير منهم هذه الحكم ولكنهم أصيبوا بمرض الهوى والطعن بهذا الدين.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨].

ولكن يبقى الخوف من الشيطان ومن السلطان بكافة أوجهه حتى سلطان الزوجات، هو أقوى من الخوف من الله مع العلم لو عقلوا قليلاً لعرفوا أن أية قوة ممكن أن يخشاها الإنسان في الحياة لا تساوي ذرة أمام قوة الله. كما يقول حسن الصفّار ويقول لماذا نخاف من القوى الزائفة.

بل من حقنا أن نشك في نزاهة وسلامة أي فئة تنشر الخوف في صفوف الناس، الخوف من الأعداء ومن الاستعمار ومن الطغيان بشتى أنواعه.

حتى من طغيان النساء على بعضهن البعض (بفضل جبن الرجال) بأن تُحرم أكثرهن من الزواج والسكن والسكينة والكفالة الاجتماعية بواجب احترام الزوج لها.

ويكون بعض الرجال الذين يخافون من زوجاتهم إذا أقدموا على الزواج الثاني يكون مشدوداً إلى عدم تطبيق هذا الشرع الإلهي، يكون مشدوداً بالمهر الغالي الذي لا يستطيع أن يدفعه إذا طلبت هذه المرأة الطلاق (لأن الحاكم عندهم يعزز ذلك)، مع العلم أنه يجب أن لا يدفع المهر للزوجة إذا كان الطلب غير مشروع وهذا الأمر حتماً لا

يوجد له أساس شرعي، ولا أخلاقي ولا إنساني، وكذلك البعض أو الكثير الأعم يكون خائفاً على بناته إذا تزوجن من رجال متزوجين وذلك نفاق، لأنه هو نفسه لا يعرف العدالة فيظن أن بناته ستعيش بعدم عدالة.

أو لأن فكره الاستكباري لا يسمح لإحدى بناته بأن تتقاسم الحياة الزوجية معها إمرأة ثانية (والعياذ بالله من هذا الفكر).

ويكون الخوف والخوف دائماً سمة هؤلاء الرجال المنافقين أو من وضعهم في هذا الموضع من الخوف... ويكونون بهذا من الهوليوديين الذين زرعوا الخوف في النفوس هنا وهناك حتى يصبح المؤمن منافقاً لأن الخوف من هذا النوع يتناقض مع الإيمان.

* * *

○ والإيمان هو الشجاعة كلها:

وإذا لم يتخلص المؤمن من حاجز هذا الخوف الجبان فإنه سيلقى حتماً الخزي والعار في الدنيا والآخرة.

ويؤكد الشيخ الصفار بأن الشجاعة والصمود ليسا فضيلة كمالية وإنما هما واجب إلهي.

ويبشر الله الصابرين أمام الأخطار والمشاكل بسبب رؤيتهم الإلهية للحياة التي تتلخص في عبارة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

والذين يعملون بآية ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣].

ولأن الخوف من الله وحده هو منهج وسلوك فيعني هذا احتضان القيم الإلهية والعمل على نشرها وتطبيقها والاستهانة بكل قوة تقف في طريق ذلك.

فالرساليون المخلصون الذين يجسدون حقيقة الخوف من الله في أحلى صوره ومظاهره.

حينما يتحملون مسؤولية الرسالة ويعملون من أجل الحق والحرية والتقدم.

ومن احتسب بالله وحده وصبر على تطبيق شرع الله وإن خسر بعض الماديات والراحة في حياته فإنه يكون شجاعاً شجاعة الأبطال والمجاهدين وليس شجاعة الجبناء والأذلاء.

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

هؤلاء هم الصابرون وهؤلاء هم المحتسبون وعليهم صلوات الله ورحمته.

من تجرأ على النبي ﷺ

﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

من رحمته سبحانه وتعالى بعث لنا بشراً من لحم ودمٍ يأكل ويشرب ويتجول في الأسواق ويعمل ويجد وكان يقول أنا مثلكم وابن امرأة تأكل القديد..

وكان يتيماً ولكن الحمد لله الأحضان التي تلقته كانت مليئة بالدفء والحنان والرحمة إلى أن ساهمت في تشكيل شخصية من هو أرحم الناس بالعباد بعده سبحانه.

وكان النبي الأرحم بكل من حوله من الناس. وكان القدوة الحسنة العملية في كل حياتنا اليومية، حتى لا يشق علينا فهم كتاب الله سبحانه وبما أمرنا أن نقوم به، وأما الحالات الاستثنائية المختصة بشخصية الرسول فقد وضحها سبحانه لكل من أراد النظر بعين البصيرة والصدق الخالص دون التأويلات الشخصية والفرعية والفلسفية.

❁ ❁ ❁

○ العالم الهوليودي:

ونأتي على قصة (عالم هوليودي) عفواً أخطأنا الاسم هي شخصية عالم دين إسلامي أو بما يدعو نفسه هكذا وربما يُظهره لباسه الخارجي وكلامه ومحاضراته التي راجت وطرقت كل المسامع والآذان مع العلم أن أحد أئمة المسلمين المعروف بصادق أهل البيت عليهم السلام والذي تخرج من بين يديه الآلاف من العلماء الأجلاء من كافة المذاهب أكّد لنا بأن كونوا دعاة لنا بغير ألستكم.

وكانت سيرة هذا العالم الذي نحن بصدد الكلام عنه كانت تخالف كل أقواله... ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

● ● ●

○ تشكيل العقدة:

ولأن العقدة التي تتشكل في السنين الأولى وتظل ترافقه طيلة حياته إلا إذا كانت التربية قد استطاعت من احتواء هذه العقدة وحولتها إلى نقطة إيجابية فبهذا ربما تساهم إلى التخفيف الكبير من مساوىء وخطورة إنعكاسات العقد النفسية على الآخرين وعلى الإنسان نفسه الذي تشبع بهذه المخاطر ودون أن يشعر تكون حياته العملية انطباعاً راسخاً في عقله وروحه.

فكيف الحال إذا كانت التربية التي تولته من صغره إلى أن اشتد عظمه من أناس لا يعرفون للأخلاق معنًى إلا في ظاهره الهش ويظنون

أن الأخلاق كلمات سطحية تتمثل بكلمات براقة من (شكراً وعفواً) دون القصد الحقيقي لهذا الشكر. وأصبحوا يفرنجونها ويلوون ألسنتهم بها وتكون بمثابة (مرسي وتانك يو وo.k) وهذا النوع من الكلام الذي يسقط القناع عنه أمام أي اختبار عملي للأخلاق الحقيقية لأنها بغير دعائم من أساس الخلق الرفيع والخلق الحق وهو احترام حقوق الآخرين وواجباتهم وحقوقنا وواجباتنا وأن العدل هو أساس الأخلاق بأن يعطي كل إنسان حقه في الحياة الكريمة من مسكن وملبس وعلم وأمان و...

وعلينا أن نحترم هذا العطاء بأنه من حق كل إنسان ولا نتصدق عليه كما نظن وإنما سبحانه وتعالى يبعثنا وسيلة لذلك، هذا من نعم الله علينا كما قال الإمام الحسين عليه السلام، إلى أن نملَّ هذه النعمة فتعود نقمة علينا ونخسرها في الدنيا والآخرة.

* * *

○ طفولة هذا العالِم:

كان هذا العالم يتيماً، وأمه بسبب مرضها الشديد لا تكاد تستطيع تأمين الأمور المنزلية البسيطة من تنظيف وترتيب وإعداد الطعام البسيط الذي لا يخلو يومياً من كسرات الخبز مع بعض فضلات الطعام ممن يتصدق عليهم به جيرانهم الأقل فقراً.

وكانت العائلة كبيرة جداً وأكبرهن الفتيات إلى أن نشأت هذه الأخت الحنون وأصبحت قادرة على العمل. وأي عمل وهي تكاد لا

تعرف القراءة والكتابة فاضطرت إلى الخدمة في بيوت (الأكابر) كما يقال عنهم أو بالأحرى المستكبرين على عباد الله.

وكم من الليالي تضطر للمبيت في بيت أسيادها أسياد المال والذي حتماً هذا المال قد أتى من حرام لأن من يحاول جهده أن يأتي ماله ورزقه من حلال يكون رحيماً في عباد الله ومعهم، ولكن القسوة التي كانت تُعامل بها هذه الفتاة المسكينة صاحبة القلب الطري تدل على جبروتهم وطغيانهم، إلى أن امتدت أيديهم يوماً إليها لتنال من عزتها وشرفها وكرامتها وعلى مرأى ومسمع أخوها الصغير الذي كان يرافقها في كثير من الأحيان لعله يستطيع مساعدتها في بعض الأمور أو ينال حظه من الطعام اللذيذ برائحته التي تدخل إلى عقول بطون جائعة لا تعرف ولا تستطيع حتى بالأحلام أن تفسر من أي شيء هذه الرائحة الزكية هي ناتجة.

* * *

○ نمو هذا العالم:

وكان هذا الصغير يكبر مع بكاء أخته شبه اليومي عندما كانت تتعرض للإهانة اليومية من ذئاب لم تستطع أن تتخلص منهم بانتقالها من بيت إلى بيت ثانٍ وثالث. فقد كانت الوجوه متشابهة لأنه طبع على هذه الفتاة بأنها صاحبة حاجة مادية ولا تستطيع نيلها إلا بهذه الطريقة (الخدمة في البيوت). وكانت هذه البيوت بمثابة مقابر لكرامة هذه الفتاة التي استسلمت أخيراً لواقعها المرير وعندما ضاعت الشهامة في

أعين الآخرين وهممهم لانقاذها بل تجرأوا على التنكيل بها بأنها هي تريد هذا.

كم يكذبون على أنفسهم ويصدقونها.

* * *

○ المعاهد الإسلامية:

وعندما كبر هذا الأخ الصغير حاول أن يتقرب إلى الله عبر المعاهد الإسلامية التي كانت تركز على علوم الفقه والأصول والأحاديث وعلم الرجال و(التفرق بين المسلمين) وتكفير كل من يخالف آراءهم... وكم نجحت هذه المعاهد والجامعات في ذلك.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونسيت هذه المؤسسات (الدينية) أن أساس الرسالة الإسلامية هي الأخلاق.

(إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

* * *

○ العالم المتأله:

وهذه النوعية من المعاهد إن تنبهت إلى تدريس الأخلاق فتكون العموميات هي الرائدة في هذه الدروس والتي لا تكاد تشكل حيزاً مهماً في برنامجها الدراسي.

والعموميات تكاد لا تبين المعنى الحقيقي لجوهر الأمر بل وأحياناً

تأتي صوره معاكسة وخاصة أن العلماء في السابق أو بالأحرى الفقهاء (وما زال الكثير منهم). كان الواحد منهم يظن نفسه إلهاً وعلى الجميع أن يعظموه ويقبلوا يديه وربما رجليه ويسلمها للآخرين بكل تفاخر وكأن أمور الدين تأتي بهذه الطريقة الاستكبارية إلى عقول ومفاهيم الناس الذين بطبعهم الفطري يتوجهون إلى اللباس الرحماني الذي يُعبِّر عن معرفة الله وشرعه.

وكم شوهت أصحاب هذه الملابس وجه الدين الحنيف برحمته وعدله وتقواه.

وبدل أن تنمو الرحمة في قلب هذا الإنسان الذي اختار العلوم الدينية من أجل التقرب إلى الله بعد أن وجد أنه هو المأوى من ظلم كل المستكبرين حوله. وبدخوله الخاطىء إلى معاهد جافة لا تعرف للرحمانيات العليا معنًى.

فاشتدت في قلبه القسوة، واستطاعوا بذكاء ملعون أن يحولوا كل هذه القسوة على المرأة بتعاليم وأقاويل لم يفقهوها ولن يفقهوها إلا من النواحي السلبية بالرغم من إيجابياتها. وفسَّروا أن النساء ناقصات عقل ودين وحظوظ، بأنه أمر بالغ السلبية مع العلم أن الإمام علياً عليه السلام قال: بأنهن ناقصات دين ولم يقل ناقصات إيمان والدين يتجلى في المظاهر الخارجية من صلاة وصوم... وعندما يكون عذرها المرضي يمنعها من إقامة هذه المظاهر تستسلم لقضاء الله في حكمته.

ولكن لماذا لا يقولون إنه ربما تكون أفضل إيماناً من ألف رجل وإن تركت الدين لأيام معدودة.

○ المرأة ونقصان العقل:

وكذلك العقل (المفكر العلمي) فهو رحمة، إنه لا يكون تاماً عند أي إنسان. والإسلام يقول إن العقل هو معيار الكمال الإنساني أي أن كل شخص أعقل هو أقرب إلى الكمال الإنساني وأكثر قرباً عند الله وكل شخص أبعد عن العقل هو أقل استفادة من الكمال الإنساني، وأكثر حرماناً من مقام القرب الإلهي.

ولكن أحياناً وكما يقول (جوادي آملي) في كتابه جمال المرأة وجلالها بأنه تقع مغالطة من أثر الاشتراك اللفظي الموجود ويستدل على أن الرجال أقرب إلى الله من النساء بأن معيار الاختلاف ومعيار الكمال الإنساني هو العقل وهذا العقل عند الرجل أكثر من المرأة في حين أن هذا الاستدلال ليس كاملاً بل إنه مغالطة تقع من أثر اشتراك اللفظ.

نظراً لأن العقل يطلق على معانٍ متنوعة بصورة اشتراك لذا يجب أولاً أن يتضح أي عقل هو معيار الكمال الإنساني والقرب الإلهي وثانياً أي عقل تختلف فيه المرأة والرجل عن بعضهما، لأن العقل الذي يختلف بين المرأة والرجل هو العقل الاجتماعي أي في كيفية الإدارة وفي المسائل السياسية، الاقتصادية، العلمية، التجريبية، الرياضية. وعلى فرض أنه ثبت بشكل عام أن عقل الرجل هو أكثر من عقل المرأة في هذا النوع من العلوم والمسائل التنفيذية (ويقول إثبات هذه المسألة ليس أمراً سهلاً).

فهل إن العقل الذي هو سبب التقرب إلى الله هو هذا العقل الذي هو موضع ميزة بين الرجل والمرأة.

هل يمكن أن نقول إن كل شخص يفهم أفضل في مسائل الفيزياء، والطب والمسائل الرياضية وأمثال ذلك هو أقرب إلى الله.

هل إن هذا العقل هو سبب التقرب أم أن العقل الذي (عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان) هو سبب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

وبهذا، المرأة في هذه الناحية أكثر عقلاً من الرجل لأنها تتأثر أكثر بالمواعظ الدينية والأخلاقية بطبيعة إحساسها الفطري الأكبر بالدين والإيمان...

وكذلك إذا كانت حياتنا كلها عقل مائة بالمائة ودون أن نفتح مجالاً ولو فسحة صغيرة للعاطفة فإننا نصبح (كالروبوت). أي كالآلة نُحرَّك بأزرار.

وإذا قيل عن المرأة ناقصة عقل فهذا ليس بدليل أن الرجل أكمل عقلاً وربما يكون هو الأنقص.

❁ ❁ ❁

○ المرأة ونقص الحظوظ:

وأما الحظوظ ونقصانها فهذا دليل وتأكيد بأن على الرجال أن يقوموا بإعالة النساء حتى تنشأ عدالة بالحظوظ. وكم كان هذا التكريم باستكمال إعطاء الحظوظ للنساء واكتمال عدالة التوزيع عندما كلفها للرجل، وطلب الراحة للمرأة بأن كان هذا التكريم للطرفين بما يتماشى مع طبيعة كل واحد منهما سبحانه ما أعدله.

لأن الطبيعة البشرية للمرأة لا تسمح لها بأن تقوم بالأعمال الصعبة

من أجل تأمين الحياة المعيشية لها ولأسرتها وهذا من شدة رحمته بنا نحن النساء.

ونعود إلى هذا العالِم الإسلامي؟!..

وبعد أن تأصلت في روحه طفولة قاسية مع تعاليم تربوية خاطئة وتبلورت في عقله العلوم الفقهية والأصولية والكلامية إلخ.. إلى أن طغت على الجوانب الأخلاقية الصحيحة.

ولأن الإسلام يركز على الزواج كي يصون نفس الإنسان عن الحرام، وللأسف مثل هؤلاء المعلمين لا يعرفون كيف يوضحون أسس الزواج الصحيح بمودّته ورحمته وعدله من آيات الله الصريحة..

فقد تزوج هذا العالِم وبدأت الانعكاسات الخطيرة تظهر في معاملته للمرأة الضعيفة والتي ظن أنه تملّكها بعقد الزواج كما تملّك صاحب البيت أخته بحاجتها إلى الخدمة في البيوت.

* * *

○ ممارسة السيادة:

بدأ يطور شخصيته في ممارسة السيادة انتقاماً من نفسه أولاً ثم من هذا السيد الذي حاول تقليده في عالم اللاوعي عنده وبدأ يمارس أنواع القهر على هذه المرأة المسكينة وتحول هذا القهر إلى ظلم شديد بعد أن انجبت له البنات ونسي الحديث الشريف بأن «من تكون له بنت ويربيها تربية إسلامية صحيحة يُفتح له باب في الجنة». فكيف الحال بعدة بنات.

ولكن عقله المتأصل (هنا العقل صاحب العقدة)، من حب السيادة في عالمه اللاواعي كان يسيطر على كل كيانه وكانت المفاهيم في عالم السيادة والاستكبار بأن البنات هن مصائب وليس العكس تماماً كما أكده الرسول الأرحم بأنهن نِعم رحمانية لنا وكانت المفاهيم آنذاك تؤكد بأن المرأة هي المسؤولة عن نوعية جنس الجنين.

وأتى العلم بعد ذلك ليؤكد عكس هذه المفاهيم السائدة، ولا نريد أن ندخل في تفاصيل نوعية الجنين ومن المسؤول لأن الدراسات العلمية الآن تقول بأن الاثنين الزوج والزوجة مشتركان في تحديد النوعية. وعلينا أن نعرف تماماً أنه سواء هذا أو ذاك فهو بيد الله صاحب الحكمة في نوعية الإنجاب ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

ولا نستطيع أن نتدخل في كيفيته ونتاجه بأن نسير على تعاليم الحلال والحرام بأن يكون هناك جيل صالح لنا وللمجتمع وكم هذه التعاليم سهلة يسيرة لمن أراد أن يتبعها بكل إخلاص.

* * *

○ التمادي في الظلم:

بقي هذا العالِم يتمادى في ظلمه لهذه الزوجة المسكينة إلى أن استشهدت وأقول إنها استشهدت لأنه من أكبر الشهادات عند الله أن يموت الإنسان في كنف ظالم. وإن كان هذا الظالم زوجاً بل هو توكيد أكبر على الإستشهاد.

وعندما انتقلت إلى رحمته تعالى مودِّعة هذا العالم وهذا العالِم - وكل الظلمة من حولها - فقد كان الزوج في قمة شبابه ويحتاج إلى تفريغ طاقاته الجنسية بشكل دائم ولأنه أصبح في مركز اجتماعي مرموق وهذا حال الحكومات الظالمة بأن تختار حتى العلماء في الدين على شاكلتها وبدأت سيرته الجديدة في كيفية استدراج أكبر عدد من النساء الذي ظن في عقله المريض بأنهن يأتين لعنده من أجل مركزه الاجتماعي وماله الكثير وإذا جلس في جلسة صدق مع نفسه يكون هذا المال حتماً من حرام أو مختلط من حلال وحرام. وسيذهب يوماً في مهب الريح.

● ● ●

○ وجوهه المتعددة:

كان لهذا العالِم عدة وجوه فقهية غير ثابتة وخاصة بأمور النساء.

كل يوم يكون في مذهب جديد على قدر احتياجات الاصطياد لهذه القلوب الساذجة ولهذه القلوب المحتاجة ولهذه القلوب الطاهرة التي وثقت به من النساء المؤمنات المحتاجات إلى صورة العالم الروحاني وخاصة أنه كان يتشدق في محاضراته عن تكريم المرأة.

كل يوم هو في مذهب فقهي جديد إما شافعي أو حنفي أو. . . . عندما يحتاج إلى اصطياد إمرأة بعقد عرفي (سري). مع العلم أنني أظن حاسمة بأنه لا يوجد مذهب من المذاهب الإسلامية يحلل زواجاً لا يحمل الشروط الأساسية للزواج وهي المودة والرحمة.

وأية مودة هذه وأي رحمة التي تمنع حق امرأة في إعلان زواجها من أي رجل مهما كان اسمه أو رسمه أو مركزه أم أنها لا تستحق هذا الإسم الشريف والنسب العريق والمركز البديع. كم عقولهم قاصرة في أفق محدود، هؤلاء أصحاب المراكز الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والآن الدينية، من مذلة في أنفسهم يشعرون بها وقد صدق صادق آل محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام أجمعين.

ما من أحد تكبَّر أو تجبَّر إلا لذلة في نفسه.

ويكون الإجبار المباشر وغير المباشر بأن تقبل المرأة هذا النوع من الزواج الخارج في كنهه عن الشروط الأساسية. وأحياناً أخرى يكون على المذهب الجعفري، عندما يريد أن يصطاد النساء (بالزواج المؤقت).

مع العلم ومن المؤكد أن الإمام محمد الباقر عليه السلام نفسه وكما يقول عنه من يدّعي (شرعية هذا الزواج) عندما سئل عن الزواج المؤقت هل يسرك أن نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمِّك يفعلن؟ تقول الراية بأن الإمام عليه السلام أعرض عن السائل[1].

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، وعظم كفراً عند الله بأن يتأولوا على النبي وأئمة أهل بيته أئمة الإسلام المعصومين بما ليس عندهم. فقد تأكد للجميع أن أحداً من أهل بيت النبوة لم يفعل هذا وأولهم النبي ﷺ وكيف يأمرون الآخرين بالفعل

(١) انظر الكافي ج٥، ص٤٤٩.

وهم لا يقومون بهذا... ويفسرها البعض إنه من المستحبات وليست من الواجبات. فسبحان الله عما يصفون فقد كان أهل بيت النبوة يقومون بأقل المستحبات في كل حركة من حركات يومياتهم الشريفة.

* * *

○ آيتهم بالتطبيق:

ويستشهدون بذلك بالآية الكريمة ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤] وهذه الآية آية الله في كتابه الكريم. واضحة كل الوضوح لا يوجد فيها الوقت والتحديد إطلاقاً فمن أين جاؤوا (بالوقت المحدد) (والمتعة المؤقتة) بل وربما كانت تمس بعض الذين علقت في عقولهم وقلوبهم أمور الجاهلية من المسلمين الأوائل وكانوا يظنون أن المرأة أو الزوجة لا يحق لها الأجر لأن المتعة بنظرهم هي متبادلة يعني أنها تأخذ كما تعطي. وهذا الأمر مستفحل في قانون الجاهلية العظمى الآن في بلاد الغرب بالنسبة لحقوق المرأة، بأن الرجل غير مسؤول عن الزوجة مادياً (وغيره كذلك عن الكثيرين). ويعيش الإثنان في بيت الزوجية وكل واحد منهما يتكفل بمصاريفه الشخصية.

* * *

○ الإسلام واحترام عطاء المرأة:

الإسلام من شدة احترامه لعطاءات المرأة كافة وبما فيها الجسدية يقدّر ويقدّس عطاءها وإن كانت هي كذلك المستفيدة من هذا بأنه قال: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء: ٢٤]. وليست الأهمية

الأكثر للأمر المادي (مع أهميته). وهل يوجد كلمة أفضل عندما نقدم عملاً صالحاً وحسناً أو مساعدة للآخرين ويكافئك ويقول أجرك على الله، يعني لك الجنة والرضوان منه سبحانه وكذلك حتماً فإن الله لن يذهب لك أجر هذا العمل الصالح في الدنيا كذلك..

فكذلك المرأة عندما تُعطي من جسدها فلها الأجر الكبير من الله سبحانه بالإضافة إلى مساعدة زوجها في حلال الله، بأن يساندها ويعينها على أمورها الدنيوية الحياتية الخاصة بها التي تكون غالباً تحتاج إلى الماديات لتأمينها في مجتمعها الصغير البيت أو الكبير خارج البيت ويكفيها عن طلب العمل الخارجي بأن يعتبر عملها داخل المنزل عملاً وتستحق عليه الأجر، حتى الرضاعة لولدها تكفَّل بها الزوج بناءً على التعليمات الإسلامية وكذلك العمل المنزلي تستطيع المرأة بأن تطالب بالأجر المادي له إن شاءت، وهذا ليس معناه أنها تطلب ثمناً مادياً مقابل أمور نعتبرها في قمة المعنويات بل هو نوع من التقدير لكفايتها بأسلوب تأمين ما تحتاجه في كثير من أمورها.

* * *

○ الماديات وسيلة:

وهنا ندرج أمثلة للتوضيح على وسيلة المادة وأنها ليست الأساس.

مثلاً: عندما نكتب كتاباً بمضمونه الذي يحث على قمة الروحانيات والمعنويات والأخلاقيات. فإننا حتماً نشعر بالفرح الأكبر عندما ينتشر بين الناس ليقرأوا ما فيه ويعملوا بتعليماته.

ولا شك هذا الانتشار يكون واضحاً من كثرة الشراء لهذا الكتاب وإن كان على سبيل الاطلاع فقط عند البعض أو الكثيرين. ويكون هذا الإقبال على الشراء يعود بالربح المادي علينا حتماً. ونكون أخذنا الأجرة على أصل العمل الذي نريده والحاصل المادي يدخل في مساعدتنا لمتابعة ابحاثنا لما نحتاج إليه من كتب كثيرة - ومراجع - وتسخير الوقت للكتابة والقراءة وكل هذا طبعاً يحتاج إلى ماديات كثيرة.

وتكون هذه الوسيلة التي حصلنا بها على الماديات من فكرنا وعقلنا وروحنا وإنسانيتنا هي مجرد وسيلة وليست غاية تماماً كالطبيب الشريف الذي يعمل ليل نهار على إنقاذ أرواح الناس ويكون هدفه الأساسي هو العمل والجد من أجل صحة وعافية كل الناس وإنقاذ أرواحهم من المرض والموت وهذا هو هدف الطبيب صاحب العقيدة الصحيحة بمهنة الطب كمهنة إنسانية عالية الأخلاق وليست مهنة مادية وإن أخذ الأجر المادي من الناس وخاصة المستطيعين لهذا وبكل سهولة بل عندهم ما يفوق الأجرة بكثير...

• • •

○ المراة والأجرة:

وأما هذه المرأة التي ستأخذ الأجر من زوجها (ولم يحدد سبحانه بأنه مادي) ستكون في قمة السعادة عندما تشعر بأنه يقدِّر عطاءها الجسدي ولو بكلمة شكر نابعة عن امتنان لها وحب لها. وكم أكد الرسول الأعظم بأن يقول الزوج لزوجته كلمة (أحبك) فإنها لا تذهب من قلبها أبداً كما قال.

وكما تغني نانسي عجرم الآن وندرجها من باب المثل، عندما تقول أنا ما بدي منك شيء يكفيني أن تقول لي كلمة أحبك (فهذه الكلمة تقتلني). وطبعاً نحن لا نريد قتل أحد، وإنما المقصود هنا قتل الشرور في نفس المحب نحو حبيبه. ولهذا بعد أن تكتشف زيف من زينا لها أن التعبير عن الحب بهذا الأسلوب الرخيص بالاغاني مع الفيديوكليبات الهابطة.

(أتنبأ لهذه المغنية أن تصبح راهبة يوماً إذا كانت فعلاً تعي هذه الكلمة).

وكذلك المرأة تشعر بالشكر الأعمق إذا كان هذا الزوج غنياً مادياً والمال عنده رخيص من أجلها (طبعاً دون طمع). فإذا كان (حبيبك عسل لا تلحسه كله) لأنها حتماً ستشعر بنفاقه إذا كان يملك المال ولا يعطيها ولو على سبيل الهدية.. أو كذلك بمسؤولية القوامة على طلبات الأسرة كلها بما فيهم الزوجة وهي الأولى في واجب النفقة عليها.

وإذا كانت هذه الزوجة لا تقدِّر العطاءات إلا بالماديات وأن زوجها غير قادر حتى على إعالة نفسه فهنا الأمر يعود إلى تقديرها الشخصي ويكون عليها الاختيار من البداية على أسس غير دينية وغير أخلاقية وغير تربوية.

يعني على الرجل أن يتحمل تبعات الاختيار الذي بُني على المظاهر الخدَّاعة والمفاهيم السطحية.. وكم وكم من الرجال يختارون زوجاتهم على هذه الأسس الواهية، فلا يلومون إلا أنفسهم.

ومثل هؤلاء الرجال الهامشيون باختياراتهم وسلوكهم في الأسرة والزواج والتواصل مع الطرف الآخر وخاصة النساء.

- إما يجندون علماء دين لمصالحهم الذاتية لتؤكد سلوكياتهم المنحرفة والأخلاقية الرذيلة والمادية المحض.

- وإما يكونون متأثرين ببعض العلماء الذين استغلوا المظهر الديني من أجل بث أفكار شخصية لا تمت إلى الشريعة الحنيفية كما أمرت وشددت بكيفية التعامل الأخلاقي والإنساني مع الطرف الآخر (المرأة).

وكم كرّمتها هذه الشريعة السمحاء التي جاءت من أجل الناس عامة والمرأة خاصة ولأجل عزتها وكرامتها وصونها من كل دنس فكري وأخلاقي وجسدي لتكون في قمة عطائها الإنساني والتربوي وكانت مسيرة النبي الأرحم مع تعامله مع النساء وزوجاته الكثر وبناته وبالأخص فاطمة الزهراء عليها السلام عندما كان يقوم لها احتراماً إذا دخلت على مجلسه وكانت تبادله بالعطف رأفة وبالمودة حناناً وبالاحترام خشوعاً له. إلى أن كانت (أم أبيه) كما لقّبها عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله.

وكذلك زوجاته فكان لكل واحدة شأنها واحترامها وقدسيتها وكانت العدالة شيمته العليا بينهنَّ بحيث لا تطغى واحدة على الأخرى ليؤكد بأن من حق كل امرأة أن تكون زوجة وأماً في هذه الحياة الدنيا وأن تراعي حق الله في أختها الزوجة الأخرى وكما لها الحق في المسكن والملبس و... فكذلك لأي امرأة نفس الحق.

○ الحقوق للنساء واحترامها:

كان النبي ﷺ يعطي كل هذه الحقوق للمرأة بكل احترام لها ولنفسه التي تأبى إلا أن تنشر العدل بالحقوق بين كل الناس صغيرهم وكبيرهم نسائهم ورجالهم.

وللأسف جاء من بعده أناس يتبين للآخرين أنهم يحملون على رؤوسهم عمامة رسول الله، ويلبسون عباءته، وهي منهم براء.. وبدأوا يتعاملون مع النساء كمثل هذا العالم السابق ذكره ليقلِّده الآخرون ظانين أنه ينطق عن الإسلام ورسول الإسلام، وبدأ يظلم ويظلم المرأة المسكينة التي تقع بين يديه، وكل يوم بأنواع جديدة من الظلم الظاهر والمستبطن والقريب والبعيد. باختراعه مع شلة من العلماء الآخرين بمحاولة استنبات أحكام الجاهلية في شؤون المرأة والنظر إلى كيفية التعامل معها وخاصة من نوعيات الزواج التي فرضوها عليها في هذه الأيام وكم أصبحت مستفحلة من زواج.

(سري - وتسري - ومسيار).

وبدأت المرأة تستسلم إلى هذه النوعية من الزيجات التي بدأت تقتل في نفسها العزة والكرامة لأنها لم تعد ترى ولم يعد يُبان لنا بأن هناك من يتمتع بالشهامة والعدل أو من يعطيها حقوقها باحترام لها ولنفسه.

لأن هذه الحقوق بالذات لا يمكن انتزاعها بالقوة بل تتعلق بالمفاهيم الخاطئة التي سيطرت على عقول الرجال وخاصة علماء الدين وبدأوا يحللون ويحرمون بأهوائهم الشخصية إلى أن أصبحوا كُثراً جداً.

حفاظاً على مصالح الطبقات البورجوازية التي تكون أشد استكباراً في المجتمعات (وجندت مثل هؤلاء لذلك). وتكون دائماً الطبقات الوسطى تحاول التقليد من نظرة دونية إلى هذه الطبقات التي تظنها الأعلى في القدوة. وبهذا ينتشر الانحراف الفكري إلى أن يصبح تطبيقاً عملياً في كل مجالات الحياة اليومية. وتكون الطبقات الفقيرة هي الخاسر الأكبر وبعد حين تمتد هذه الخسائر الفادحة إلى جميع الطبقات من الشعب وتكون كالجراد تأكل الأخضر واليابس من عقول عامة الناس.

* * *

○ النتيجة للتجرؤ:

وبهذا نستنتج أن الذي تجرأ على الله ورسوله وأحكام الشريعة وخاصة بالنسبة لأحكام المرأة لأننا بصدد أمورها. فإن هذا التجرؤ قد فتح الباب الأوسع لكي يتمكن منا الشيطان الأكبر بأفكاره وأحكامه وشرائعه بأن يسيطر على عقولنا وقلوبنا ومبادئنا لنكون أداة في تدمير شعوبنا لتحيا شعوبهم وفي ظل مبادئهم الخاصة ومفاهيمهم الأخص التي يظنون بأنها ستعمِّر طويلاً.

ولكن إن هي عمَّرت فهو بسبب ضعف عقولنا وفكرنا واستجابتنا السريعة لهم وعدم ثقتنا بشريعتنا كلها (وغير المنقوصة) فهذا الذي يقويهم وهذا ما تريده (هوليود الإسلام الجديد).

بشعاره نريد أن نعطي ما نريد نحن.

* * *

البحث عن أمة لا إله إلا الله

○ ابحث عن أمة لا إله إلا الله!

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]

نشأت في أسرةٍ المسؤول عنها والمربي الأول فيها هو والد مؤمن تقي، إقتبس الإيمان والدين عن والده وأجداده الذين توارثوه عن الرسول الأرحم والنبي الأكرم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله الطاهرين. كان في كامل صدقه في الأمور البسيطة جداً والصغيرة والتي يظنها البعض أو الكثيرون أنها من التفاهات بعد أن اعتدنا على كثرة وقوة الكذب من حولنا.

كان يركّز في اسلوبه السلوكي اليومي أن الكذب من الفجور وكم وكم كان يسامحنا على الأخطاء الكثيرة التي كنا نفعلها عن قصد أو غير قصد على قدر عقولنا الصغيرة والتي لم تكن قد استوعبت ماهية

الأمور بكيفيتها وأهميتها.

وقد كبرنا على هذا الصدق الجميل في كل شيء لأننا لم نَهَب يوماً عقاباً من هذا الوالد الصادق عندما كان يسامحنا ويؤكد على تسامحه مراراً من أجل أن نقول الصدق وإن أخطأنا في أفعالنا.

وعندما كان هناك بعض الحالات التي تستدعي بعض العقاب من أجل مصلحتنا فكانت تتمثل وبعد الإقناع بأننا نستحق هذا العقاب كان يتمثل في حرمان بسيط من بعض الأمور التي كانت لا تشكَل جذوراً أساسية في حياتنا اليومية مع أنفسنا والعائلة والآخرين.

وما زلت أذكر حادثة في طفولتي وبعد أن أخذ مني والدي الوعد بأن أحافظ على مفتاح البيت الذي تركه معي عندما اضطر للخروج مع والدتي لأمر مهم.. ظناً منه أنني أصبحت إلى حد ما أستطيع تحمل المسؤولية لما كان في شخصيتي من صفات العقلانية والذكاء الحاد والثقافة العالية بالرغم من صغر سني.

ولكن السلبية الوحيدة بأنني كنت دائماً أثق بالآخرين فوراً وأصدقهم ولا أبحث عن أي أسباب سلبية فيهم، فلماذا لا يكونوا صادقين مع الآخرين أو ربما يحاولون إيذاءهم لأسباب أو لغايات شيطانية في داخلهم.

ولأننا كنا جميعاً نلعب نحن وإخوتي الصغار وبنات الجيران واضطررت أن أعطي المفتاح إلى إحدى رفيقاتي كما طلبت مني حتى استكمل دوري في اللعب.

وعندما انتهينا جميعاً وأردنا الدخول إلى البيت.

المفتاح لم يعد له وجود.

وتحول كل فرحنا باللعب والتسلية البريئة التي طالما قد هذبت وأنمت في داخلنا مشاعر التعاون مع بعضنا البعض وإن كان من ضمن هذا البعض شخص ما يحاول أن يؤذيك بحسده لك لأنه يشعر دوماً بأنك أفضل منه في كل شيء. . . وربما الأهل يساهمون في هذا عندما تكون المقارنة لهم مع أولاد الغير قاسية لدرجة تؤجج الحقد في نفوسهم ويبدأون ينتظرون الفرص للإيقاع بهم في مشكلة ما.

المهم المفتاح قد ضاع.

وعندما أتى الأهل ويريدون الدخول إلى البيت والمفتاح لم يعد له وجود، اضطروا إلى استعمال أساليب كثيرة من كسر وخلع و. . . من أجل الدخول.

وقبل هذا عندما سألني والدي: تذكري يا بابا أين وضعت المفتاح وكنت لا أريد أن أتكلم عن رفيقتي بأنها هي التي أضاعته، وبكيت وحينها ضمني والدي إلى صدره الحنون وقال لي: لم نعد نريد المفتاح فقد قطعت نياط قلبي.

والحمد لله مرَّت الأمور على خير وسلامة. . وكم من هذه الأمور الشبيهة كانت تحدث معنا وأتذكرها. . بأنها كانت تمر دون عقاب.

مثل الصينية التي كنا قد أحضرناها أنا وإخوتي من الفرن لنأخذها معنا في الرحلة الترفيهية مع الأهل المقررة يوماً في الأسبوع للراحة والاستجمام في الطبيعة طبيعة الله سبحانه وتعالى، وكم قلبي متعلق بهذه الطبيعة.

وقعت الصينية وامتلأت محتوياتها اللذيذة من اللحم والبطاطا و. . . واختلطت مع التراب. . .

وقصص غيرها وغيرها عندما نتذكرها نضحك.

ولكننا للأسف لم نعد نسامح أولادنا إذا وقعوا في أخطاء أقل من هذه بكثير، بل نحاسبهم أكثر على مظهرهم الخارجي وكيف لا يستطيعون أن يبرزوا القشور الكاذبة والخادعة لشخصية هشة لم تعد تهتم إلا أننا:

- اشترينا الشيء الفلاني بأغلى الأسعار.

- وأخذنا غذاءنا في المطعم الفلاني بدل سفرة الدار.

- وتناولنا عشاءنا في المقهى الذي هو في خدمة الزبائن متفانٍ والمليء بالسُّهار.

وإذا لم يعرف أولادنا كيف يتكلمون ويتباهون عن كل هذه الأسفار والأسعار ويتقنون الأدوار، نحاسبهم حساباً عسيراً، ونزجرهم زجراً مريراً وكأنهم ارتكبوا إثماً كبيراً.

وهكذا أصبحت المفاهيم كلها مغلوطة ومقلوبة ومنحطة وغير مضبوطة. والله يجيرنا من الأعظم.

يا ليتنا نعود ونتعامل مع أولادنا بهذا الأسلوب الذي عوَّدنا على الصدق والإخلاص وعدم الخوف من العقاب وعندما يكون العقاب نستسلم له لأننا تعلمنا بأننا نستحقه ولأنه كان يأتي على قدر عقولنا

الغضة وقلوبنا الطرية وأجسامنا الضعيفة التي كانت لا تتحمل الضرب أو أي نوع من السياط مهما كانت خفيفة.

وهذا ما ركّز عليه الإسلام والذين يتعاملون بدين الإسلام والذين يصدقون كلام الإسلام ويتصادقون معه لأنهم عرفوا تماماً بأنه الدين الأرحم والأفضل لنا وللأجيال القادمة الصادقة النافعة المعطاءة المحبة للسلام والإسلام.

والسؤال، كيف نعوّد ونربي ونتعامل مع أطفالنا وأولادنا بهذه الأساليب التربوية العالية؟ ونحن أنفسنا لم نعد نصدق أو نثق حتى بأنفسنا بل ونكذب عليها بأننا فعلاً مؤمنين بكلام الله وبتعاليم رسول الله وبتعاليم القرآن المجسَّد بمحمد بن عبد الله وأهل بيته الطاهرين وصحابته الكرام.

* * *

○ اقتباس الأساليب الغربية:

ويدأنا نأخذ النماذج لأساليبنا التربوية ممن يرون أن المظاهر التربوية في فرنجة اللسان وغربنة اللباس وتعرية البواطن من كل خلق كريم من وفاء وإخلاص ومحبة للآخرين ولأنفسنا وتقدير ماهيتنا كبشر من لحم ودم وأحاسيس وتظهر هذه التعرية الباطنية على مظهرنا الخارجي من كذب ونفاق وكشف كل ما يبعث على الإغراء والغرائز المادية الملموسة من فكر استكباري في نظرتنا للمال والجسد.. وتكون تعريتنا الخارجية من سلوك مترابط مع بعضه قولاً وفعلاً وتطبيقاً

يتناسب مع عقولنا التي أصبحت شبه فارغة أو فارغة من كل أصالة.

* * *

○ النمو الصادق:

كنت أكبر ويكبر معي الصدق والإخلاص لدين الله ورسله وأوليائه، وتعمقت هذه المحبة الكبيرة عندما تعايشت مع الملائكة البيضاء اللواتي كنت أحبهنَّ كثيراً ولا أرضى إلا أن أنام في غرفتهنَّ الخاصة المجللة كلها ببياض الثلج النقي وبحنان الأمومة المربية وإن لم تكن أي واحدة منهن قد ولدتني فقد كنت أدعوها بأمي الكبيرة وكم كنت انتظر الساعات القليلة وفي حسابي كانت طويلة جداً حتى ألتقي بها من جديد عندما نتهي من دروسنا وأعمالنا في المخيم الترفيهي والتثقيفي، لتغطيني باللحاف الأبيض الطاهر من كل دنس خارجي ومادي، ليجلل بدني الطفولي الذي كان يكبر شيئاً فشيئاً مع كل من حولي من الذين يحبون الله ورسله وجعلوني أحب الله ورسله.

كذلك أبونا الكبير الذي كان يأتي من حين لآخر ليعطينا الدروس والمواعظ والحكم بأن الله سبحانه يرانا في كل مكان وفي كل مخبأ، وعلينا أن نراه في كل مكان وفي كل لحظة.

وكبر هذا الإيمان في روحي وقلبي وعقلي وبدأت أبحث عن حقائق هذا الوجود الذي رسخ هذه الحقيقة المطلقة والتي لا تقبل الجدل بعظمة صاحب الوجود كله.

مسألة الخلق والموت بل مسألة بث الحياة في الأجساد ومسألة إنهاء الحياة من هذا الجسد ولا أريد أن أدخل في مسألة فلسفية معقدة

بماهية كيفية بث الروح وأخذها، بل أخذت الموضوع في إطارة العام للتفكر.

ويكفيني حسماً لأي جدل بأنه لم ولن يستطيع أحد بأن يعطي الروح أو يأخذها إلا إذا كانت فعلاً تريد الاستزادة ونكون نحن الوسيلة لهذه الإستزادة لأنه لم يحن وقتها بعد للتوقف النهائي. وإن كان هناك بعض المعجزات على يد الأنبياء والأولياء فكله كان ويكون (بإذن الله تعالى) وكان النبي أو الولي واسطة لتبيان حكمة معينة أرادها سبحانه عبر إعادة الحياة أو خلقها في جسد فلان من الناس والحيوانات.

وهذا ما يؤكد لنا بأنه سبحانه لا يقوم شيء إلا بإذنه ولا يموت شيء إلا بإذنه ولا يحيا شيء إلا بإذنه. مهما كثُرت أو قلت الوساطات والآلات والمحركات بل علينا أن نسعى لعبادته ولا ننسى أبداً أنه موجود في كل مكان وزمان من حياتنا اليومية والليلية.

* * *

○ من عرف نفسه فقد عرف ربه:

إن أصحاب الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام سألوه: أليس الله يقول: يا عبادي ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]. قال: صدق الله العلي العظيم، بلى هو قائل ذلك. قالوا: فما بالنا ندعوه ليل نهار فلا يستجيب لنا؟ قال: لأنكم تدعون من لا تعرفون. قالوا: وكيف نعرفه؟ قال: اعرفوا نفوسكم تعرفوه ثم ادعوه يستجب لكم. قالوا: وكيف نعرف نفوسنا؟ قال: فكروا في أعينكم كيف تبصر؟ وفي آذانكم كيف

تسمع؟ وفي قلوبكم كيف تفكر؟ فإذا عرفتم ذلك شعرتم بعظمة الله في نفوسكم فدعوتموه فاستجاب لكم.

وكما يقول محمد سعيد رمضان البوطي: إذا أردت أن تعرف نفسك هل أنت من الصالحين أم لا؟ صارح نفسك هل تستأنس مع الصالحين أم مع الطالحين هل تستأنس بوجودك مع من يذكرون الله في كل تواجدهم أم لا يرون لله مكاناً في كل وجودهم.

وبدأت أبحث عن هؤلاء الصالحين الذين يرون الله في كل وجودهم ولا يرون وجودهم في كل الحياة.

❁ ❁ ❁

○ إله التجار:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ [النُّور: ٣٧]....

ذهبت إلى أهل التجارة وكما قال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ترك التجارة ينقص العقل وترك التجارة من عمل الشيطان، والنبي الأكرم أكدَّ أن التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء. ومن أراد أن تحل البركة في بضاعته فليتقِ الله في الحلف وكي لا يصبح من الفجار يجب عليه أن يزكي سلعته بالصدق.

فرأيت التجارة بأعين التجار شطارة والشطارة عندهم جسارة، جسارة على عباد الله ورزقهم وعلى الصدق نفسه ويكذبون بطريقة هم أنفسهم يظنون بأنهم صادقون، ويحلفون بأساليب التورية الكثيرة التي لا يفهمها إلا الحاذقون جداً والذين يعملون بنفس الأسلوب وكأنه

مطلوب منا نحن الزبائن بأن نكون من أشد الناس تلاعباً بالألفاظ والكلمات حتى نفهم ما يقولون.

وما أعظم كلمة (الله وكيلك) التي أصبحت على كل لسان وفنان بعلم الكلام. وعندما كنت أسمع هذه الكلمة والتي أخاف منها كثيراً، كنت أوافق فوراً على السعر ويتبين لي بعد فترة أنه قد تلاعب عليَّ بالكلام ولكن أحمده سبحانه بأنه كان وكيلي عندما وافقت على الشراء وبهذا سيجعل البركة فيما اشتريت مهما غلا ثمنه ولكن هذا التاجر الفاجر بكلام الله ووكالته بأنه حتماً سيخسر البركة في كل شيء مهما ربح من أموال طائلة وكنوز واهية.

وكل هذه التعليمات قد أخذوها من علماء دين يؤمنون كثيراً بالتورية ويعملون بها أكثر وكذلك بالتقية ويحاولون إفهامها للناس دون وعي ولا يعرفون أن يفرقوا بأسس هذه التوصية عندما تصبح مطلوبة في موقع معين عندما يأتيك عدو الله ويكون السيف مسلّطاً عليك ويأمرك بأمر معين وهذا الأمر لا يكاد يسبب الضرر أو من الممكن أن يسبب النفع للآخرين إذا قلناه فهنا في هذه الحال فقط تستطيع أن تتلاعب في الألفاظ وتوهم الطرف الآخر بأنك صادق في كلامك وتكون أنت في قرارة نفسك تعرف تماماً بأنك تكذب.

ولكن للأسف الآن يستعملون هذه الطريقة وهذا الأسلوب بطريقة وقحة ومخادعة مع كل الناس من حولهم من أجل الربح الخاص وليس من أجل المصلحة العامة وكأن كل من حولهم أعداء لله أو أعداء لهم ويريدون التقية منهم وعليهم وفيهم.

ويتهمون النبي إبراهيم ظلماً وعدواناً بأنه استعمل التورية والبعض يقولون الكذب عندما طالبه قومه الكافرون بأن يقول لهم من فعل هذا بآلهتهم... وقد كان واضحاً عندما قال لهم ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

فقد كان وكانوا يعرفون أنهم لا ينطقون.

وتستفحل هذه اللغات الكاذبة ويصبح فعلاً الكذب ملح الرجال الفجار ممن قلدهم التجار.

وكم هو بالغ الخطورة عندما يكون الملح الذي يستعمل في التعقيم فاسداً.

ولو أن هؤلاء التجار عملوا بتوصية واحدة من توصيات النبي الذي تاجر مع الله وحده وربح الدنيا والآخرة لأنه اتبع الآية الكريمة: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

وجعل كل ما تبصره عينه واستحلاه قلبه لله وحده فما عند الله باقٍ وكان لا يشغله شيء مهما كان الربح المادي كبير جداً عن الصلاة فكان دائماً من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وكم هي عظيمة هذه التوصية لله سبحانه وتعالى عندما قال: «وعزتي وجلالي، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا جعلت غناه في نفسه وهمومه في آخرته وضمنت السموات والأرض رزقه وكففت عليه ضيقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر» (البحار ص ٧٧ - ٧٨).

فيا ليت التجار يبحثون في هذا الكلام الثمين لهم ولغيرهم ويربحون الدنيا والآخرة.

ولكن هذا يلزم القوّامين على علوم التجارة وفنها بأن يفقّهوهم في هذا كما وصى الإمام علي التاجر مع الله «تفقه قبل أن تنزل السوق».

والأهم هو أن المفقهون يعرفون تماماً كيف يفقهون عباد الله وخاصة التجار بالفن الصحيح والعلم الصريح بهذا بأن التجارة فن وعمارة في ظل شرع الله.

وليست شطارة وجسارة وبمفهوم إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب.

وأن نتعلم دروساً كيف نتعامل بمحبة وعطاء وليس بالتورية والتقية الكاذبة وبهذا إذا كنا صادقين في تجارتنا الله سيعطينا أكثر..

إله الصنَّاع والحرفيين

﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُوا۟﴾ [التوبة: ١٠٥]

ذهبت إلى أصحاب المهن والحرف.

والحرفة أول ما قام بها أبونا آدم لأن حب البقاء عند الإنسان أوحى إليه أن يبذل جهداً لتأمين حاجياته من الطبيعة البكر. ولهذا دخل الإنسان في علاقات معينة تمثلت في تحويل خيرات الأرض وثرواتها من مادة خام إلى مادة مصنّعة لتلائم طلباته وتلبي غرائزه لأنه كان بحاجة إلى الطعام واللباس قبل اهتمامه بالفن والسياسة والموسيقى والأدب.

وهكذا الحرفة أوحت بها حاجات الإنسان الطبيعية وطورتها الحاجة وارتقت بها الضرورة ولم يكتسبها الإنسان من أحدٍ إنما جاءت بعد بذل جهد إنساني فطري إستهدف استثمار ثروات الطبيعة لتأمين استمراره في الحياة[1].

(١) (من كتاب حرف التراث من دمشق الأساس).

وكما يقول فرانك لويدرايت (أحد كبار المهندسين المعماريين): لقد سبقتنا الحشرات والطيور والحيوانات بأشكالها المختلفة إلى أنواع من البناء نستطيع إذا أحسنّا دراستها أن نستفيد منها ونعمل على تطوير هندستنا البنائية.

لقد توصلت هذه الكائنات إلى صنع الكثير من مواد البناء كالصمغ والشمع والحرير والورق والأسمنت وتغلبت على الكثير من المشكلات الفنية والهندسية التي واجهتها في بناء مساكنها فبرهنت من خلال أعمالها على تقدم في المدنية ودلت على صفات الاتقان والثبات التي ما زالت تجهلها الكثير من الجماعات الإنسانية.

* * *

○ هندسة النحل:

فالنحل يستطيع أن يبني حجراته السداسية الشكل دائماً ويقول العلماء أن الحجرة بهذا الشكل تعطي أكبر فراغ ممكن بأقل كمية من مواد البناء وكل هذا يتم دون أية أدوات هندسية ووسط الظلام المطبق على الخلية فكيف بنا نحن البشر ابتداءً من الإنسان الأول الذي استعمل العصا والحجارة لتأمين كل ما هو محتاج إليه من مسكن وملبس وغذاء وبدأ يتعاون مع الآخرين في شكل فئات أو مجموعات من أجل تطوير هذه الوسائل التي يستخدمها في استخراج خيرات الأرض إلى أن وصلت إلى شكلها المستخدم في وقتنا الحاضر وهذا الجهد والنشاط الهادف هو ميزة ينفرد بها الإنسان دون غيره ويتكون

من قواه العضلية والروحية التي يختزنها في عقله وجسده ويستطيع بذلها في سياق عملية الإنتاج، ووسائل العمل في غاية الأهمية فهي تشكل العنصر الحاسم في سياق التأثير المتبادل بين الطبيعة والبشر.

• • •

○ حركة الإنتاج:

وكانت الحركة الإنتاجية تتمثل بعدة تشكيلات اقتصادية واجتماعية وقد عرف التاريخ البشري خمسة أنواع من هذه التشكيلات وهي: (البدائية - الرق - الإقطاع - الرأسمالية - الاشتراكية).

وبدأت الحرف تتعدد وتتنوع وتتخصص.

وكما يقول بدر الدين السباعي إن تعدد الحرف وتنوعها وتخصصها ورسوخها دليل حضارة وتقدم لأن المجتمعات الصغيرة يوجد فيها الحرف البسيطة فإذا تمدنت المدنية وتزايدت الأعمال ووفت بالضروري انتقلت إلى الحرف المركبة (وكما يقول ابن خلدون إن الحرف المركبة هي للكماليات).

ويتابع د. السباعي: إذا أرادت البلاد في العمران والتمدن صرف الزائد فسوف تتجه حينئذٍ إلى الحرف المتقدمة.

والحرف المتقدمة هي في العلوم العسكرية.

وعندما بدأت تزدهر المدنية في بلادنا وبدأنا نتطور في حرفنا وصناعاتنا دخلت العقلية الهوليودية من منظار قديم وديني بظاهر رحيم

على حد اعتقاد من ينادي بهذا التضليل والغرض منه تراجع قيمة الحرفة والصناعة بكافة أشكالها وإنتاجها وتخصصاتها. إلى أن تبقى في تناقص مستمر ثم تضمحل لا سمح الله.

ويأتون بشعوب أو يتوجهون إلى شعوبهم ليزرعوا مبدأ الجودة والإتقان في نفوسهم حتى تتغلب على شعوبنا ويتحكمون هم بالإنتاج والنوعية والتصدير إلى من يريدون أو لا يريدون ونبقى بهذا تحت شوكتهم أبد الدهر في كل شيء.

وكان هذا المبدأ الذي أطلقوه على بلادنا وشعوبنا الذي يساهم في انتقاص جودة إنتاجنا ولأننا في الأعم الأغلب نُعتبر من المسلمين أو بالأحرى من التابعين للدين والقيم الدينية الإسلامية فزرعوا فينا مقولة **«بأن النبي يخطىء»**.

مع العلم أن هناك حديثاً واضحاً ومعلوماً عند الجميع يقول إن الله تعالى يحب:

«إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

ويقول ﷺ: قليل عمل تدوم عليه أرجى من كثير مملول منه. وهذا دليل التشديد على الإتقان والنوعية وليس الكمية.

فعندما يتأصل مفهوم كلمة (إن النبي يخطىء) في كل عمل علينا أن نقوم به بكل إتقان فإنه حتماً ستسيطر على نفوسنا وعقولنا وأيدينا قلة المهارة والجودة وبالتالي بخس الأشياء إلا إذا عدنا كما في التجارة إلى الكذب والنفاق في تورية أخطائنا لترويج بضاعتنا غير الجيدة وغير

المتقنة ولكن إلى متى يستمر تصديق الآخرين لنا... فحتماً نحن الخاسرون.

ولهذا علينا أن نبقى نحافظ على مهارتنا وجودتنا في إنتاج بضاعتنا كي تضاهي بضاعة العالم الأجنبي والغربي في صناعاتهم التي طالما تغلبوا علينا من خلالها لأنه ليس عندهم كلمة (النبي يخطىء) وربما يتعاملون في مقولة أن (النبي معصوم) بالعصمة الكبرى وعليهم وعلى شعوبهم أن يتعاملوا مع حرفهم وصناعاتهم بالعصمة الصغرى. أي محاولة عدم الخطأ مهما كان بسيطاً وإن الخطأ وخاصة المقصود فهو خيانة للعمل وللآخرين لأن العمل مرتبط مع أطراف ثانية وبحاجة إلى هذا الإنتاج وعلى جميع الأصعدة المهنية والحرفية والصناعية، وحتى المتقدمة منها وعلينا أن لا نستسلم للإنتاج الغربي وتقوية شوكتهم على بلادنا وشعوبنا كي لا نبقى أبد الدهر في ذل التابع لهم ولمواهبهم الإنتاجية التي يحاولون أن يطوروها على حسب تخريب مهاراتنا.

بأن نعود إلى أصالتنا في الإنتاج العالي الجودة وبمهارة الإتقان والإخلاص في العمل والإنتاج.

إله العلماء والمثقفين

﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]

حديث شريف: العلم نور.

ذهبت إلى أهل العلم والثقافة، وكم عظم الله سبحانه العلماء، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

فهذا دليل أن الذي يعرف حقيقة معرفة الله هم العلماء. وكم أثنى النبي الأعظم على فضل العلم فقال: إنه أحبُّ إليَّ من فضل العبادة، ومن جاءت منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة.

وإن باباً من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون له جبل أبي قبيس ذهباً فأنفقه في سبيل الله.

وقال التلميذ الأول للمعلم الأحكم: من علمني حرفاً كنت له عبداً.

ذلك التعزيز للعلم لأن المعلم خليفة الله في خلقه إذ يسبغ العلم على الإنسان فيصبح رمزاً لخالقه ويكون كما قال (حسن التبانجي) آخر الأمر هو المخاطب من ربه بقوله: يا عبدي أطعني تكن مثلي أنا أقول

للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون وهل في طاعة العبد أقرب إلى سيده من طاعة العالم العارف بسيده؟!!

وقد كان الأولون يطلقون لقب المعلم على من أحرز اثنين وستين علماً وفناً (كأفلاطون وسقراط والفارابي وابن سينا). وبعضهم يحجب اللقب عن أفلاطون وابن سينا لعدم توفره فيهما مع العلم الكل يعرف ما لهذين من العلوم الكثيرة النافعة.

ويعلمنا تلميذ رسول الله ﷺ بأن نعتبر العلم مصدر الحياة في الأمة وأنه عين الحياة ولا تتخلص الشعوب من غياهب الجهل ولا تتقدم في معارج الحياة التقدم المنشود بل ولا تكون ذات قوة وسلطان ومنزلة عليا ما لم يكن فيها معلمون ذوو اختصاص يدربونها فيصلون بها إلى حياة العلم الصحيح حياة العز والسؤدد.

وهذا أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس وأرخميدس وغيرهم من الحكماء الذين كانوا معلمين هذبوا اليونان القديم وكوَّنوا له مدينة هي أساس حضارات الأمم التي لا نزال نشاهد آثارها وعظمتها إلى اليوم.

وقد كان سقراط قد علم تلاميذه المبادىء الطيبة حتى عزموا أن يضحوا بحياتهم من أجل تخليصه من حكم الإعدام الصادر بحقه ولكنه أبى ومات في سبيل الواجب ورعاية القانون فعلم الناس بموته (حب الموت من أجل المحافظة على النظام).

وقد رأينا في عصور الحضارات الأخيرة أن النهضات العلمية والفكرية في البلاد لا تثمر إلا إذا اشترك فيها المعلمون بجهودهم المتواصلة ولم تتسع العلوم والفنون في العصور الأخيرة في الغرب منذ

بدء دور الإنتباه توسعاً محسوساً عن طريق تجارب المعلمين في كل فن مارسوه حتى صارت لا تمر لحظة من الزمان إلا ونرى ونسمع أنه برز لميدان السباق العلمي مخترع حديث واكتشاف جديد.

* * *

○ العلماء وسبل النهضة:

لقد كان غاليليو وكوبرنيك ونيوتن وباستور وأديسون وروسو وغيرهم ممن تقدم أو تأخر من علماء تلك العصور هم الذين هيأوا لأمم بالنظر إلى اختصاصهم بمختلف العلوم سبل النهضات حتى فاضت تعاليمهم فانتشرت في بقية الأمم الأخرى فكانت سبباً لنهضتها من كبوتها تعلمها معنى الحياة الطيبة الموصلة إلى الحرية والاستقلال وزادت مؤلفاتهم عن دائرة الحصر حتى في موضوع واحد.

- أوجدوا من النظريات الهندسية خططاً علمية كانت أساساً لوضع المدن الراقية على أحسن طراز معماري يكاد بإبداعه يدهش العقول ويبهر الأبصار.

- قرَّبوا المسافات الشاسعة التي كان الإنسان ينهك قواه لاجتيازها.

- اخترعوا البرق والهاتف اللاسلكي وأخيراً الهاتف الرائي.

- علموا تلاميذهم الأجسام الحية وغير الحية فوقفوا على ذراتها وكنهها بالتحليل الكيميائي.

- رسّخوا في ذهن الإنسان القاعدتين التاليتين:

١ - النظريات التي لا تقترن بعمل غير مفيدة.

٢ - العمليات التي لا تستند على نظرية ما مبهمة.

وبذلك فتحوا باب العمل وأوجدوا لكل فرد مهنة تساعده على تأمين حياته بالكسب.

وكما قال الإمام الغزالي: إن للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال، إذاً لصاحب المال:

- حال استفادة فيكون مكتسباً.

- وحال إدخار فيكون غنياً عن السؤال.

- وحال إنفاق على نفسه فيكون منتفعاً.

- وحال بذل لغيره فيكون به سخياً متفضلاً وهي أشرف الأحوال.

وقال الإمام علي عليه السلام: **العلم خير من المال، فالعلم يحرسك وأنت تحرس المال.**

ولقد قام أبطال الإسلام بوظيفة التعليم والإرشاد للمدنية الحقة في زمن لم يتيسر التقدم فيه إلا للأمة الإسلامية التي جاهد معلموها طيلة ألف عام فترة القرون الوسطى فانتفعت من علومهم أمة الغرب وما المقبول من مدنيات هؤلاء اليوم إلا ولهم فيه التأثير البليغ.

- وها هو الإمام الصادق عليه السلام مؤسس علم الكيمياء ووضع هذا العلم عند تلميذه جابر بن حيان وما زالت الجامعات الغربية تدرس أسسه وقواعده إلى يومنا هذا.

وهذا هو الإمام علي الرضا عليه السلام مؤسس علم الصحة من ضمن

الطبيعة البشرية لكي يكون الإنسان متلائماً مع طبيعته البشرية والتكوينية في تمام الصحة والعافية وبأدنى بل وربما بدون تكاليف مادية كما هي اليوم باهظة الثمن، كما يستغلها علماء الصحة والجمال والعافية في طلب هذا الإنسان الضعيف أمام مرضه.

ويستطيع المتخصص التوغل في هذا العلم الطبيعي للأسس الصحية التي ما زال الكثير منها مجهولاً لحد الآن.

- أما الإمام الحسين عليه السلام مؤسس العلوم العسكرية للمواجهة الجريئة الشجاعة والشريفة وقواعدها التربوية بحيث لا يكون إلا أصحاب المعركة والثورة هم أصحاب المسؤولية أمام الله والتاريخ والناس بأنهم طلبوا الحق وضحوا بأغلى ما عندهم لأجل هذا الحق الإلهي وبأن الضعفاء من النساء والولدان في حمايتهم إلى آخر نقطة من دمائهم.

- وهذا هو الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام مؤسس علم الحقوق الإنسانية والواجبات، قبل أكثر من ألف سنة مما يظنون أنهم واضعوه حالياً.

وبيَّن ووضح كل شيء في حياتنا للإنسان، ماهية الحق له وماهية الواجب عليه، وهذا الذي نكتبه غيض من فيض من رسالته الحقوقية والتي لو طبق بعض الأجزاء منها لكان الناس في أمتنا الإسلامية والعربية في أحسن حال.

لأنه يقال خراب المجتمعات تبدأ عندما يطغى الإنسان في حقوقه على حقوق الآخرين.

- وها هو الإمام علي عليه السلام مؤسس علم البلاغة والفصاحة والخطابة ويكفي كتابه (نهج البلاغة) شرحاً لذلك. وقد أسس علم العدالة فكان يُعرف بإمام العدالة الاجتماعية بأن قال:

بأن على الحاكم أن يساوي نفسه بضعفة الناس كي لا يتبيغ الفقير بفقره.

وهذه قمة العدالة الاجتماعية.

ووضع قاعدة الإخوة بين الناس أجمع وهي الآن تُتخذ شعاراً من أفضل الشعارات في التقارب والتعايش الإنساني بأن قال:

الناس صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق أو أخ لك في الإنسانية.

وأما المعلم الأفضل والأرحم والأحكم وتحت راية المعلم الأكبر سبحانه.

سيد البشر وأستاذ البشر أجمعين.

- بعظمة أخلاقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

- وبالغ أدبه «فقد أدبه ربه الله».

- وعلو رحمته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

- وكرم أخلاقه «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

فالأخلاق عنده قوة العدالة بأن يعطى كل إنسان حقه وباحترام لهذا الحق ولهذا الإنسان الذي نعطيه إياه بل وأسس قواعد هذا الميزان العادل بقاعدة رحيمة فقد كان دائماً يؤكد على تعاليم الرحمة من منطلق

النفس الزكية بقوله: «طوبى لمن زكت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره».

وقال: «ارحموا الضعفاء وأطلبوا الرحمة من الله برحمتكم أياهم».

«واتقوا الله في الضعيفين النساء واليتيم».

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أحب أن يرحمني ربي، قال له: إرحم نفسك وارحم خلق الله يرحمك الله.

يا لها من قاعدة رحيمة لكل رحمة بأن نبدأ برحمة أنفسنا لننطلق منها لرحمة الآخرين.

وكما قال تلميذه الذي أدَّبه بعد أن تأدب بآداب الله.

رحم الله امرءاً أحيا حقاً وأمات باطلاً وأدحض الجور وأقام العدل.

وكم كان يحث على طلب العلم بكافة أشكاله ولغاته ومصادره من شدة احترامه لعلوم وشعوب الآخرين وثقافاتهم التي تتفاعل مع بعضها البعض ولا يكون الاحتكار لشخص معين أو لشعب معين أو لفكر معين. بل قال: أطلبوا العلم ولو في الصين.

فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم.

وهذا دلالة على تفاعل وتكامل الشعوب مع بعضها... من مبادىء السعادة لكل الأمم.

وكما يقول الأستاذ قبانجي: إن السعادة موقوفة على العلم والعلم

موقوف على التعليم على ما ينبغي والتعلم على ما ينبغي موقوف على إصلاح طرق التعاليم فالسعادة موقوفة على إصلاح طرق التعاليم فهي الأساس. فعلينا أن ننطلق من مبادىء إيمانية بالله وحده ليكون العلم إصلاحاً وتكاملاً.

لأن الإلحاد أساس الفساد، فإن انحطاط كل أمة لإهمالها المصالح النوعية وإهمالها المصالح النوعية لمعارضتها مع المصالح الشخصية لأفرادها وتقديم الأفراد مصالحهم الشخصية على المصالح النوعية، والتربية الخاطئة لتعزيز حركة الإلحاد (من منطلق تعزيز الأنا البشرية بشكل مطلق).

ويصبح الفرد يرى مصالحه الشخصية عين المصالح النوعية ويهمل هذه المصالح.. مما يسبب الفساد لأنه في أكثر الأحيان تتعارض المصالح النوعية مع المصالح الشخصية لمن تربى على سلوك ومفاهيم غير دينية وغير أخلاقية وغير إنسانية وخاصة ممن لا يؤمنون بأن هناك حساباً في الآخرة لكل عمل مهما صغر قد قمنا به في دنيانا.

والآية الكريمة تبين لنا ذلك ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وبيّن لنا هذا المعلم الرحيم شروط التعليم الناجح والنافع والمخلص ﷺ إبتداءً من التقليد لقدوته الصالحة..

فكان يقول عن نفسه: « **إنما أنا لكم مثل الوالد لولده**»، من شدة حرصه ورأفته على المؤمنين والناس كي يدخلوا جميعاً إلى نعيم الجنة في الدنيا والآخرة.

- وأن لا يعتبر نفسه ذا منةٍ على المتعلمين.

- وعلمنا أن طلب العلم هو التقرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة على الدنيا.

- وأن يقبّح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده.

- وأن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرِّح ويطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ.

- وأن لا يقبِّح العالم بشيء من اختصاص معين صاحب اختصاص آخر.

- وأن يراعي التدرج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة.

- وإن تكلم مع الناس يتكلم معهم ويعلمهم على قدر عقولهم.

- وأن لا يكتم علماً فمن كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار.

فهذا كله ما أكده النبي الأكرم ﷺ المتعلم بعلم الله وعلمنا أن يعمل المعلم بعلمه فلا يكون فعله يكذب قوله لأن العلم يُدرك بالبصائر والعمل يُدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر.

فإذا خالف العمل العلم مُنع الرشد.

وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وها هو أفلاطون ينبه المعلمين بأن قال لهم لتكن سيرتكم مع تلاميذكم سيراً مستقيمة بلا زيادة ولا نقصان.

- وكونوا لهؤلاء التلاميذ مرآة صافية مضيئة فكونوا دليلاً لمروءتهم ليتأدبوا بالمروءة.

- ولا تكونوا سبباً لعادة مذمومة يجترئ عليكم بها تلاميذكم.

- وقال لهم كونوا طاهرين لا عيب فيكم قبل أن تشرعوا في هذا العلم.

- وأياكم الحسد فإنه المفرق المشتت.

- وليتواضع بعضكم لبعض ولا تتحملوا ثقل التكبر ولا ترفعوا بالصلف ولا تتعاظموا بالافتخار.

- ولا تأخذوا بأخلاق الجبابرة.

- واعلموا أنكم إذا اتصفتم بهذه الحكمة وتمسكتم بها كنتم كالنور المشرق على الخلائق. فاجعلوا شكركم لله المدبر للكل.

الأزلي، القائم بالحق والقسط.

ولأننا أصبحنا نعيش في عالم مادي ونقيّم الناس من خلال المادة بدأنا نعتبر صاحب العلم الحقيقي هو الذي يملك الماديات أكثر والذي عنده الشهرة أكثر وقد زهد الناس بالعلم لكثرة ما رأوا من لا يعمل بعلمه وإن عمل فيكون بالظاهر ومن أجل ربح المال والمركز والسلطان إذا كان هذا العلم في الدنيا ومن أجل الدنيا. . وربما يكون يوماً وبالاً على جميع الناس بالرغم من إيجابياته الكثيرة في كثير من

النواحي ويصبح هكذا عندما يستحوذ على أصحاب هذا العلم الجشع والطمع والغرور. أو الاستسلام والانكسار والتذلل لمن يشعرون أنهم هم أقوى منهم وأفضل منهم في هذا المجال العلمي. وكذلك التابعية والاستهانة والتغالب على أنفسنا إذا لم يكن هناك جهات مختصة تتبنى هذا العلم بمروءة وأخلاق وتقى وتكون المنفعة للجميع.

وكم وكم من العلماء في بلادنا الإسلامية والعربية من يتمتعون بالمواهب والعبقرية في شتى المجالات العلمية والتكنولوجية والمعرفة... وينتظرون من يهتم بتفجير هذه الطاقات العلمية في مسار التطبيق على الأرض بالوسائل العملية وبالرغم من كل الإمكانيات الهائلة التي بين أيدينا من الثروات نجد قمة الاستهتار بهؤلاء العلماء الذين يبحثون عن المنافذ والأبواب لعلمهم ولا أحد يستجيب لهم ويصبحون عرضة للاستغلال الاستكباري الذي يوظف العلم والعلماء ومن أجل الاستعلاء على بقية الناس والعمل بهذا من أجل المصالح الشخصية ومصالح بلادهم وشعوبهم وإن كان على حساب الناس والبشر أجمعين.

ولذلك علينا أن نتسلح بالدين والأخلاق كي لا نقع فريسة في أيدي المستكبرين المستغلين للعلوم وللعلماء وبتوجيه شيطاني بحيث يبعث على الدمار والهلاك لنا ولشعوبنا وكذلك على الجهات المختصة أن تهيّئ الجمعيات والمؤسسات بأن تنظر نظرة جادة علمية أخلاقية في كيفية توجيه هذه العبقرية والطاقة العلمية الفذة التي تهاجر إلى العالم الغربي وتُطور هناك ولأنها لا تجد السبل في بلادها التي أصبحت لا

تقدر العلم وأهله مع العلم أننا كنا لكافة العلوم مصدرين ومؤسسين، لكن طبعاً هذا في السابق ومن تاريخنا. وحاضرنا الآن أصبح مهتماً بالمال والمظاهر السطحية التي تركز على هشاشة المضمون من فكر توجيهي للواقع ومتطلباته بل وأصبح عندنا كثير من العلو والاستكبار على كل صاحب عقل وعلم وخاصة إذا كان صاحب هذا العقل والعلم لا يتناسب مع النظرة المادية والمصلحية لذواتنا الاستكبارية والتي بدأت تخلو تماماً من الرحمة والعدل والمروءة، لأننا ابتعدنا عن ديننا الحنيف.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكما يقول الشاعر:

يا رجال التعليم في المنشآت — أنتم للعقول خير بناة
إن هذا النشء الوديع إليكم — وكلوه في هذه المنشآت
علموه فالعلم خير حياة — انقذوه فالجهل شر ممات
درسوه الأخلاق فهي سياج — يحرس العلم من يد الموبقات
ثقفوه بالدين كي تحفظوه — من شذوذ الآراء والنزعات
إن شعباً يسوسه عبقري — هو أرقى سياسة من مئات
إن أمية تسيطر فيه — وهي تمري أجفانه بقذاة
هي شر المستعمرين بلاء — لعقول بالجهل مستعمرات

فعلينا أن نقول لا للجهل الذي هو الباب الأوسع للاستكبار والعلو والذل لغير الله.

إله السلطان والسلاطين

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

والمقصود من أولي الأمر هم الأمراء من أهل العدل الممتثلين لأوامر الله والمجتنبين معاصيه.

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وعلى السلطان وولي الأمر أن يكون شاكراً لنعم الله إذ عنده من النعم أكبرها وأجلها وهي نعمة السلطة والإمرة وتولي أمر الناس فعليه أن يقابلها بالشكر والطاعة والإخلاص في أمر الرعية.

وطبيعة مهمة السلطان الأولى حماية أمن الناس وأعراضهم ودمائهم وأموالهم ونشر العدل بينهم ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ [المائدة: ٨].

والآن أولي الأمر منا ومن يتمتع بالسلطة علينا قد سلط سيفه على رقابنا وكراماتنا ويريد توجيهنا إلى حيث يريد هو وإلى حيث مصلحته هو ولسلطته بل ويحاول تثبيتها ودعمها بكل الوسائل المتاحة ما عدا العدل بين رعيته.

وأن يكون رفيقاً بهم والصبر على هفواتهم وقال ﷺ: ما من عمل أحب إلى الله ورسوله من الإيمان بالله والرفق بعباده.

وقال الإمام علي عليه السلام: وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم واعطهم من عمرك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه.

والآن الحاكم أو الوالي أو السلطان، يتتظر هفوات رعيته بفارغ الصبر ومهما صغرت وقل خطرها عليه، فيقوم عليهم سبعاً ضارياً فيقتل ويشرِّد ويعدم ويسجن كل من يظن أنه غير موافق على ولايته وسلطته ولا يعمل بقاعدة من يرحم العباد يرحمه الله. لأنه يكون فعلياً قد نسي الله تماماً في دائرة كرسيه التي يجلس عليها والتي ربما سلبت عقله الرحيم منه.

وكم شدد الإسلام على تحذير السلطان على أن لا يظلم وخوَّفه بالآخرة وكم نبه الإسلام بأن الرعية هم أمانة في عنق هذا السلطان وقال بأن السلطة تقابلها المسؤولية كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

وقيل خير الملوك من اشترى قلوب رعيته بمحبته كما أشعرها هيبته ولن ينال ذلك منها حتى تظفر منه بخمسة أشياء إكرام شريفها ورحمة ضعيفها وإغاثة لهيفها، وكف عدوان عدوّها وتأمين سبل رواحها وعدوها فمن أعدمها شيئاً من ذلك فقد أحقدها بقدر ما أفقدها.

وحكامنا الآن وإن عملوا ببعض هذا فإنهم يعملون بهذا من فهم خاطىء فأصبح الشريف الذي سيكرّم من يكون عندهم صاحب مال

وجاه - وصولة وجولة -، وربما صاحب مافيا وقوة باطلة وشجاعة جبانة كما شرحنا سابقاً بأنه لا يقوى إلا على الضعفاء والمساكين. وهنا الحاكم يكرم هذا النوع من الشريفات والمستشرفين. وأما رحمة الضعفاء فهم لا يوجد في رعيتهم إلا أقوياء وجبابرة في بصرهم وبصيرتهم وعليهم أن يكيلوا لهم بمكيالين من الرد والمجابهة.

وأما إغاثة الملهوف فقد يغيث هذا الحاكم المعطوف عليه والمكشوف أمامه بحقيقته الباطلة والمفضوح نحوه بعمله وسيرته العاطلة.

وأما كف العدوان فهذا أصبح صعب المنال فالكل يتسابق مع الزمان والغلمان والشيطان كيف يستذل إليه الجبابرة والحكام الأكاسرة والسلطات الجائرة ويقنعون أنفسهم بأنهم يريدون الانفتاح. ويعملون بالإصلاح وإن كان يحمل السلاح على صغيرهم وضعيفهم وفقرائهم ويقتنعون بأنهم الولاة الحكماء والحكام النصحاء والعلماء النجباء الذين يعلمون بما ينفع بلادهم إن هي انفتحت على الحكام الجائرين والظلمة والخائنين ويجرون الناس إلى أهوائهم وينجحون المصالحة العامة من أجل مصالحهم الخاصة وتظهر معالم الجور والعدوان فالعمل بالهوى يعطّل الأحكام والحكمة وتكثر علل النفوس والتهمة وتعظم الأباطيل وتذل الأبرار وتعز الأشرار. وبهذا تتمرد الرعية ويفقد الأمن والأمان ويعملون على عزل هذا الراعي وخلعه فإن كانت جذوره بالكرسي قوية وفروعه على الانفتاح بهية ويظن الآخرون أنه من الحكماء لأننا تعودنا أن نشجع الجبناء ونعظم الوضعاء بحجة

أنهم أصحاب كرسي مزخرف ولباس مهفهف وعيش مرهف وعلينا أن نكون جميعاً هكذا ومن لم يكن فهو ناقص وإلى هكذا سلطان محتاج وبالشطارة والمهارة يكون العلاج.

وصدق سبحانه بقوله: ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وصدق رسول الله حين قال: يولّى عليكم من أنفسكم.

فنسألك اللهم أن تهدي نفوسنا إلى الكرم والشجاعة والدين والأخلاق وحق عبادتك حتى نصبح بالفعل جادين ومجدين في إقامة سلطان الحق علينا سلطان الله بيننا سلطان الحب فينا.

إلى المتجلببين بجلباب الدين

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥].

يقول محمد البهاري الهمداني في كتابه تذكرة المتقين ترجمة حسين كوراني.

ليست المعرفة على سموها الهدف الأسمى بل القدرة العملية المتمثلة عملياً في التزام المعرفة وتجسيدها هي الهدف المعرفي الأرقى.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يقبل الله عز وجل عملاً إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعرف فلا عمل له إن الإيمان بعضه من بعض».

وجاء في نهج البلاغة للإمام علي - شرح محمد عبده -.

روي أن صاحباً لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همَّام كان رجلاً

عابداً، فقال يا أمير المؤمنين: صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال: يا همام اتقِ الله وأحسن فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه فقسم بينهم معيشتهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم.

فالمتقون فيها أهم الفضائل، منطقهم الصواب.

صفات المتقين كما ذكرها إمام المتقين	سلوك المتجلببين بجلباب الدين كما أرادها إمام الشياطين
١ - منطقهم صواب	وكم يصدر الخطأ من أفواههم.
٢ - ملبسهم الاقتصاد	يلبسون الثياب المزركشة بالذهب.
٣ - مشيهم التواضع	يمشون وكأنهم يطيرون مع الغبار.
٤ - غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم	وينظرون إلى المحرمات بقلوبهم.
٥ - ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم.	والبعض يريح أسماعه بالطرب وأحياناً بالطرب الماجن.
٦ - نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء (أي أنهم إذا كانوا في بلاء كانوا بالأمل في الله كأنهم كانوا في رخاء لا يجزعون ولا يهنون وإذا كانوا في رخاء كانوا من خوف الله وحذر النقمة كأنهم في بلاء.	عندما ينزل البلاء فالصبر منهم بعيد والأمل منهم هارب وعند الرخاء ينسون الله ويتصرفون بالقارونية (أوتيت به عن علم).
٧ - لولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب.	إن ترقبوا الموت يظنون أنهم إلى الجنة سيذهبون فوراً وكأنهم خوّلوا من الله أن يعطوا لأنفسهم الكرت الأخضر للجنة دون حساب (كما تعطي أميركا لعملائها).
٨ - عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم.	كل شيء في الدنيا من زخارف معظَّم عندهم ومقدس من أجل عظمتهم وأنفسهم.

صفات المتقين كما وصفها امام المتقين	سلوك المتجلببين بجلباب الدين
٩ - فهم والجنة كمن قد رآها	دائماً يحلمون بالجنة وكأنها مكتوبة لهم لا محالة.
١٠ - وهم والنار كمن قد رآها	يرون النار لغيرهم مستعرة ويدأوا يفتون بقتلهم لاستعجالهم لهؤلاء بورودها.
١١ - قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة	قلوبهم محزونة على دنياهم إذا لم ينالوها كما يريدون وشرورهم مأمونة لمن أطاعهم في هواهم.
١٢ - أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم فيها.	مقبلون على الدنيا وهي لا تريدهم وإن استقبلتهم إلى حين.
١٣ - أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً وظنوا أنها نصب أعينهم وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم	في الليل تبدأ سهراتهم في التداول بأمور الدنيا على المآدب والمآكل والمشارب ويستمعون إلى قليل من القرآن والأدعية من أصحاب الأصوات الجميلة وكأنها آيات لا شأن لهم فيها في التطبيق ويركزون أسماعهم على لحن الصوت وليس معنى الكلمة والآية ظانين أنهم قد أدوا حق ليلتهم في ذكر الله، ويتأكدون بذلك أن زفير جهنم بعيدة عنهم أسفاراً أسفاراً. ويطلبون بذلك فكاك رقبتهم من النار وكأنهم بهذه السهرة الليلية الممتدة أحياناً حتى الصباح قد ضمنوا الجنة لأنفسهم.

١٤ - أما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرضٍ ويقول لقد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم.	ويأتي النهار فيكونون منهكين متعبين إلى درجة العصبية من شدة السهر. وإذا جاءهم من يريد أن يتقوا الله فيه تراهم ينهرونه بأساليب شتى ومن الباب الخارجي المحروس بأكثر من شخص وأحياناً كثيرة يبقى مغلقاً من كثرة الناس المراجعين (ولا يعرفون لماذا هؤلاء الناس قد كثروا في الطلب، من شدة الفقر من سوء التوزيع). ويحسبهم الناس أنهم قد خولطوا من عدم اتزانهم في سهراتهم وعدم تقواهم.
١٥ - لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون إذا زُكّي أحدهم خاف مما يقال له فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي من نفسي اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون.	إن عملوا فبالقليل القليل لأنهم يستكثرون هذا القليل. ولا يحاسبون أنفسهم ولا يعتبرونها تهمة بل من أعمالهم مرتاحون، وإذا تجرأ أحد ووجه إليهم انتقاداً أو ناقشهم في بعض أمورهم إذا استشكلت على غيرهم وأراد تنبيههم لأمر معين قالوا نحن أعلم بأنفسنا من غيرنا ولا نريد النصيحة ولا ينقصنا العلم فنحن أدرى (بما نفعل، وإن سمعوا لهم فإنه يدخل من الأذن اليمنى ليخرج من اليسرى (ونسوا الحديث رحم الله من أهدى اليّ عيوبي).

١٦ - فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين وحرصاً في علم وعلماً في حلم وقصداً في غنى وخشوعاً في عبادة وتجملاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى وتحرجاً عن طمع أي (بعداً عن الطمع) يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذراً ويُصبح فرحاً حذراً لما حُذِّر من الغفلة وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة إن استصعبت عليه نفسه فيما يكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه في ما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل.	من علامة أحدهم أنك ترى له قوة في سلطان وحزماً على إنسان محتاج وإيماناً متأرجحاً وحرصاً في دنيا ومركزاً اكتسبه وحلماً وقصداً إلى كرسي مسؤول يتبعه وخشوعاً له ولمركزه وتجملاً له ولمعاليه وطلباً في حاجة وتحرجاً عن كرسي الله لأنه يظنه بعيداً وإن عمل عملاً صالحاً فهو على راحة لأنه يظن أنه أدى كل المطلوب منه، يمسي وهمه إلى ما سيصل إليه من مراكز الدنيا ويُصبح وهمه السعي في ذلك يبيت حذراً على مركزه إن وصل ويصبح فرحاً إذا دام له، وإن استصعبت عليه نفسه فيما يحب ويرضى فإنه يسعى في ترويضها لتستجيب. وزهادته فيما يبقى ويدوم (كرسي الله) وبهذا يخالف عمله قوله..

واستمر إمام المتقين عليه السلام في صفات المتقين بسرد جميل وشعور مهيب حتى صعق همام فكانت نفسه فيها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أما والله كنت أخافها عليه، وقال هكذا (تصنع المواعظ بأهلها... وأخاف أن أسرد الكلمات والوصف الكامل لإمام المتقين في وصف الأتقياء (المتجلببين بجلباب الدين والتقى). ونرى من يخالفونه الكثير منهم بكل وقاحة في السر والعلن... حتى

لا نصعق من هذه الحال التي وصلت من تشويه هذا اللباس الرحماني، ومتى سيكون الحساب لهم.

إلــه الــتــجــار	اللف والدوران والتورية الكاذبة
إله الصنّاع والحرفيين	الـغـش وعـدم الإتـقـان
إله العلماء والمتعلمين	حـب الـمـال والـشـهـرة
إله السلطان والسلاطين	الـجـور والـظـلـم
إله المتجلببين بجلباب الدين	الغرور والاستكبار المبطن تحت جلابيبهم

* * *

إلهي أين أجد لك ولياً اتعبَّدكَ فيه ويكون بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.

إلهي أين أجد لك نوراً أحدِّق فيه لأكحِّل به العيون

أو حبيباً خالصاً... يفيض من حبه رحمة علينا

وسأخبئه بين أضلعي وبين طيات الجفون

حـالـت الـنـفـس بـيـن عـبـيـدك

فـرأت الـظـالـم لـحـقـهـم ورأت الـمـظـلـوم

ورأت العالم التقي وقد توج رأسه بأغلى كنزٍ

والـمـتـعـلـم عـلـى سـبـيـل الـنـجـاة

ومن أراد بعمامته أن يغطي سواد قلبٍ بالشياطين مسكون

ورأت الـلاهـث وراء عـزٍ فـانٍ

ومـن قـضـى عـمـره بـجـمـع الـمـال الـمـكـنـون

ومن لم تعرف العاطفة درباً إلى قلبه.. والمنقاد لها

ومن استعمل عقله في كل شيء حتى أتعبه.. فأصابه الجنون

ورأت المستكبر المتعالي ومن زال ينتظر فرصته

ومن أراد العيش في ظل الله وأوليائه.. بهدوء وسكون

والناسك المتعبد في محرابه

والمتشدق ليل نهار بأقواله

ومن نطق بالحق وعمل به

ومن ترك الدنيا وما فيها مختاراً صومعته هارباً

بعد أن أرهقته الشكوك والظنون

ورأت.. ورأت.. ورأت!!!...

إلهي سئمت من دنيا لم أر لك فيها حبيباً خالصاً

فإذا كان الموت راحة لي...

خذني إلى جوارك

فالجسد والبدن والجوارح إلى لقياك ربي... مشتاقة

وسألت النفس يوماً...

هل رأيت الكثير من هو خالص بحبه لله وحده

ولكن تركت الحكم لقلب متهورٍ

وتاه العقل عن رؤيتهم

ولم تلاحظهم العيون

لـن أقـبـل مـنـكِ أيـتـهـا الـنـفـس غـيـر الـعـدل

فـانـظـري إلـى دنـيـا خـلـقـهـا سـبـحـانـه

فـيـهـا الـعـاقـل والـمـجـنـون

انـظـري بـعـيـون صـافـيـة

وقـلـب مـحـب رحـيـم حـنـون

وسترين الكثير من هم لله وحده عابدون

وإن كـثـر الـبـلاء وقـلَّ الـديَّـانـون

الزنى وصانعوه

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥]

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]

○ الشعوب القديمة والزنى:

إن من أقوى العوامل التي ساعدت في انتشار البغاء في العصور الماضية بسبب النظرة الدينية الذين كانوا يعبدون الشهوات ويخلقون لها الآلهة وقد اشتهرت بعض المدن القديمة بما كان يقام فيها من ضروب العبادات الشهوانية حتى بلغ فساد أهلها أنهم كانوا يعرضون البغاء على بناتهم في الهياكل والمعابد التي كانت بمثابة مواخير وكانت الشعوب القديمة غالباً تبيح البغاء وتدعو إليه وتحسبه من الفرائض الدينية كفينيقيا وآشور وبابل وبلاد الفرس والكلدان وغيرهم. وما عبادة ايزيس وموكل والبعل وعشتاروت وغيرها سوى ضرب من أشنع ضروب الفرائض الشهوانية التي كان الأقدمون يمارسونها ويحافظون عليها وكان قدماء المصريين يحرمون الجماع داخل معابدهم بخلاف غيرهم من الشعوب.

○ رجال الدين الأقدمين:

كانت تعاليم رجال الدين الأقدمين عند أكثرية الشعوب تقضي بافتضاض البكارة عند الزواج بواحدة من الطريقتين:

١- إما أن يخرق الغشاء بواسطة الآلهة (الأصنام) أو بالآت صناعية مباشرة.

٢- وإما بأن يمزق الغشاء آدمي ينوب عن الآلهة.

والطريقة الثانية فهي أساس غرضهم من وضع مثل هذه التعاليم لمصلحتهم الشخصية لأنهم كانوا يقولون بأن من ينوب عن الآلهة في هذه الخدمة المقدسة في عرفهم وهي تكريس الفتاة للزواج بافتضاض بكارتها قبل أن تصير ملكاً لزوجها وهم أولاً الكهنة، وتلاميذهم، ويليهم الملوك والأمراء.

* * *

○ حق الآلهة:

كان بعض الملوك يتخذون حق الآلهة لأنفسهم فكان لهم مطلق الحرية في التمتع بزوجات المؤمنين من رعاياهم بل ويقولون إن أحسن طريقة لتكريم الآلهة واكتساب رضاهم هي أن يسلم الرجل زوجته تسليماً تاماً للرئيس الديني يتمتع بها في أي وقت أراد.

* * *

○ تطور الزنى:

كانت هذه الأمور تنقلب من حال إلى حال إلى أن استفحلت، ولكثرة اللاتي يمارسن البغاء في بلاد مختلفة أخذن يطفن في الشوارع ودور اللهو والفجور بعد أن يخيم الظلام يفتشن عن أبخس الطعام وقد أصبح الكثيرات منهن متقدمات في السن وقد ذبل جمالهن وزالت محاسنهن وأصبحن في حالة يرثى لها من ضنك العيش وصعوبته، فقد كان من المبادىء آنذاك أن المرأة عندما تدخل في تلك المهنة يصبح اسمها مشهوراً بالرذيلة ولم تعد تنفعها الندامة ولا التوبة ولو تزوجت صارت أماً لأولاد شرعيين.

* * *

○ النصرانية والزنى:

عندما دخلت النصرانية بلاد الرومان طرأ على البغاء تغيير عظيم وذلك أن المسيحية نظرت إلى البغاء نظرة الشفقة ودعت إلى العمل على انقاذ ممارسات البغاء ولكن بسبب عزوبة الكهان ونقصان عدد الرجال الذين تركوا زوجاتهم للالتحاق بالحروب الصليبية. كل ذلك كان من الدواعي التي دعت عدداً كبيراً من النساء لأن يبقين بعيدات عن أزواجهن لا يمارسن الحياة الزوجية مما دعا كثير من رجال الأكليروس بأن يمارسوا الجنس مع تلك النسوة التعيسات حتى أصبح الكثير من هذه الشعوب يرفضون الالتحاق بالحروب لأنهم لا يأمنون على نسائهم من زيارة الكهنة.. وجراء ذلك أصيب الكثير من رجال الكنيسة بمرض الزهري وقد انتشر هذا المرض العضال في أوروبا.

○ المسيح والزنى:

قال يسوع المسيح عليه السلام قد سمعتم أنه قيل للأولين لا تزنِ وأنا أقول لكم إن كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه (كتاب المرشد المسيحي) وكانت التعاليم في الديانة المسيحية جادة في تحريم الزنى واجتنابه والعيش أحياناً عيشة تبتل ورهبانية ما يخالف تلك النصوص ويناقضها لأن المنع بما لا يتماشى مع طبيعة الإنسان، ما خُلق لأجله كالحياة التناسلية حيث دعا كثير من الكهنة ورجال الدين على اختلاف الرتب والأجناس إلى عدم ممارستها وكانت نسبة كبيرة من الشعب في هذا السلك فعاشوا في جوامع وأديرة مبتعدين عن الحياة الدنيا متبتلين مخلصين لما نذروا إليه أنفسهم فكانوا من جراء ذلك المنع أو الامتناع عن الحياة الزوجية والانقطاع في أديرة خاصة بالراهبات والرهبان أن طغت عند بعضهم الشهوة الجنسية فثارت ثورتها وفرَّ بعضهم صاغرين تحت شدة وطأتها فاستباحوا ما كان محرماً وانغمسوا في الرذيلة والفحشاء.

❋ ■ ■

○ اليهود والزنى:

قال الحاخام تام الذي كان في الجيل الثالث عشر بفرنسا: **إن الزنى بغير اليهود ذكوراً كانوا أو أناثاً لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات.**

وقال الرابي كرونر: **إن التلمود يصرح للإنسان (أي اليهودي) أن**

يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها ولكنه يلزم أن يفعل ذلك سراً لعدم الضرر بالديانة.

وكان عقاب الزاني والزانية كما ورد في الكتاب المقدس إذا زنى رجل مع امرأة أبيه أنهما يُقتلان وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يُقتلان كلاهما. وإذا اضطجع رجل مع رجل ذكر فإنهما يُقتلان وإذا اتخذ رجل امرأة مع أمها فذلك رذيلة يحرقونه وإياهما، وإذا جعل رجل مضجعه مع بهيمته فإنه يقتل والبهيمة تميتونها (وأما من يزني مع نساء من غير شعوبهم فلا عقاب عليه) يا للجبابرة.

وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة يقتلان..

مع العلم أن التوراة قد أمرت بالرجم لمن زنى.. ولكن علماء اليهود وفقهاءهم وعامتهم بدلوا بالأحكام التي كانت مكتوبة عندهم في التوراة وكانوا يتعاملون معها كأنها أحكام إلهية.. فقد مكروا وغيروا هذه الأحكام على أهوائهم الشخصية.

وذكرني التلمود أيضاً عن الرابي اليعازر (وكأنه افتخار له) بأنه فتك بكل نساء الدنيا وأنه سمع واحدة تطلب صندوقاً ملآناً من الذهب حتى تسلم نفسها لمن يعطيها إياه فحمل الصندوق إليها ومر في سبعة شلالات حتى وصل إليها.

ويقول الرابي كرونر: إنه لا يوجد بين اليهود أولاد غير شرعيين كما في باقي الأمم واستنتج من ذلك أن الزنى قليل بينهم (لأنهم كانوا يبيحون الزنى بشعوب الآخرين). ولكن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

وبهذا ثبت من التعداد العمومي خلاف ذلك ووجدت المومسات بين اليهود في المدن الكبيرة بأوروبا أكثر منهن في النساء المسيحيات.

* * *

○ الإسلام والزنى:

مارس العرب الزنى قبل الإسلام منذ العصور القديمة وكان عمر ابن أبرهة ذو الأذعار أحد ملوك حمير في اليمن يزني ببنات الملوك من حمير فيؤتى بهن أبكاراً وغير أبكار فكنَّ يشربن معه الخمر وكان ينادمهن على الخمر ويصيب منهن حاجته فلما فعل ذلك بحمير كرهوا أيامه وأبغضوا دولته.

وكان بعض العرب يُكرهون إماءهم على البغاء واشتهرت بعض القبائل في الجاهلية بالزنى.

فلما جاء الإسلام صالحهم رسول الله ﷺ على أن يسلموا وعلى أن لا يزنوا وكانوا أهل زنى وربا.

* * *

○ القرآن والزنى:

وقال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١)﴾ [المعارج: ٢٩-٣١].

• • •

○ الأحاديث الشريفة والزنى:

كانت الأحاديث الشريفة تحث على العفة والطهارة.

وقال النبي ﷺ: عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم.

وهذا دليل على مبدأ كما تدين تدان. لأن الرجل هو الأساس في انتشار عدم العفة وكذلك القرآن خاطب الرجل أولاً. وكذلك النساء عليهن مسؤوليتهن في العفة وطهارة النفس.

والعفة هي الإتزان في الاستجابة للميول الجنسية.

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي إن لك كنزاً في الجنة وإنك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الأخيرة[1].

وهنا النظر والعف عن نساء الغير يأتي في درجات على حسب درجة قرب هذه المرأة أو بعدها عنا.

فإذا كانت زوجة للغير فلا يجوز لنا النظر إليها إطلاقاً.

وأما إذا كانت زوجة لنا فيجب علينا النظر إليها بمودة ورحمة وتلذذ..

---

(١) (رواه أحمد ١/ ١٥٩).

وإذا كانت هذه المرأة أختاً أو أماً أو بنتاً فلا يجوز النظر إليها بتلذذ أو ريبة وهكذا يكون بالنسبة لبنات الأخ والأخت والقريبات من عمات وخالات من باب التواصل والإحسان مع قريباتنا من النساء، وأما إذا كانت من النساء العموميات فإنه يجوز النظر إليها إذا كنا ننوي الزواج منها وبهذا نكون قد وضعنا عفة النظر في موقعها الحقيقي.

وقال النبي ﷺ: ما تركت بعدي فتنة أضرُّ على الرجال من النساء.

وكان بعض الصحابة قاسياً في تفسير هذه الآية عملياً، بأن قال وكما جاء في كتاب (الزنى ومكافحته) لعمر رضا كحّالة، عندما سمع عمر بن الخطاب امرأة تقول:

إن النساء رياحين خلقن لكم   وكلكم يشتهي شم الرياحين

قال:

إن النساء شياطين خلقن لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين

مع العلم أن الرسول الأكرم ﷺ قال: الفتنة بعدي.

لأنه يعرف تماماً بأن بعده سيصبح هناك الابتعاد عن الأحكام الإسلامية والابتعاد عن الإسلام الصحيح الكامل الشامل الرحيم. وبأحكامه التي تعمل على درء هذه الفتنة وها نحن الآن نشاهد بأم أعيننا واقع الأمور لأنه كما يقصد الرسول ﷺ عندما تنقلب الموازين في عدم إقامة الفتنة من الأساس فإنها حتماً سيكون فيها الضرر البالغ على الرجال والنساء. ولكن عندما توضع الموازين الحقيقية في موضعها الصحيح لن يكون هناك فتنة وكل علماء الإسلام الجديد

اليوم.. تقريباً اجتهدوا وجهدوا وجاهدوا بأن أبطلوا الحكم الإسلامي وخاصة فيما يتعلق بالمرأة بطرق مباشرة وغير مباشرة لاستفحال هذه الفتنة بأن تصبح المرأة بكل فتنتها تُعرض بالأسواق والشوارع والطرقات وبكل الأساليب وفي بلادنا الإسلامية.

وهذا ما سنقوم بشرحه بالتفصيل في كتابنا بإذن الله، أسباب عدم عفة المرأة، اليوم.

* * *

○ الإكراه على الزنى:

قال رسول الله ﷺ: من أفسد امرأة على زوجها ليس منا.. فكيف الحال من يفسد المرأة في كل المجتمع أو يكون سبباً في إفسادها.

نعم نقول إن على المرأة أن لا تستجيب لهذا الإفساد وأن تكون عفيفة في سلوكها وحياتها.

وكما قال أبو حنيفة: إن من أكره على الزنى من سلطان لا يحد وإن أكرهه غير سلطان يحد وأما المكرهة فلا تحد في قولهم جميعاً.

وكما قال الإمام علي عليه السلام: لا تحملوا الفروج على السروج فتهيجوهن للفجور وإن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أقرَّ نطفته في رحم يحرم عليه. وقال عليه السلام: ألا أخبركم بأكبر الزنى، قالوا: بلى، قال: هي امرأة توطىء فراش زوجها فتأتي بولد من غيره فتلزمه زوجها فتلك التي لا يكلمها الله ولا ينظر إليها يوم القيامة ولا يزكيها ولها عذاب أليم.

فتلك التي لا يكلمها الله سبحانه يعني إذا كانت محصنة فلها العذاب الأليم..

والسؤال: إذا حاول الرجل أن يحصّن نفسه ولم يجد لعدم توفر أقل متطلبات الزواج من بيت و... فمن المسؤول إذا اضطر إلى الزنى.

وإذا المرأة حاولت أن تحصّن نفسها ولم تجد بسبب كثرة النساء وقلة الرجال، وعدم إقبال هؤلاء الرجال على الزواج من أجل عفة المرأة لغياب المروءة والشهامة من عقولهم وقلوبهم، فمن المسؤول عن عدم عفتها.

ومن المسؤول عن تزويج كل رجل وامرأة عندما لا تتوفر لديهم الشروط التي أصبحت كثيرة اليوم وغير متوفرة إطلاقاً عند الكثيرين. من المسكن والمهور الغالية في بعض الأحيان وأكثر في التعداد الكبير للنساء غير المتزوجات..

من المسؤول؟!

ويقول الرسول الكريم لرجل: إذا بلغت ابنتك مبلغ النساء ولم تزوجها وزنت فعليك وزر ما فعلت.

وزاد استفحال عدم توفر هذه الشروط المفاهيم الخاطئة المستوردة من الاستكبار العالمي. واستكبرت نفوسنا بها فأصبح الأب لا يزوج ابنته من رجل فقير وإن كان مؤمناً تقياً ويطلب المهر الغالي. وكذلك لا يزوج ابنته من رجل متزوج وإن كان ربما يسعدها أكثر من شخص غير متزوج.

وهذه المفاهيم استمدت قوتها من القدوة الصالحة في المجتمعات الذين بدأوا بتطبيق هذه التعاليم الاستكبارية وكان الاتباع لهم من بقية الناس لأن الإنسان بطبعه يميل إلى القدوة الصالحة. والتي يظن أنها صالحة في مظهرها الخارجي بما تتصف به من علم ودين وتقوى وخاصة إذا كانت متجلبية بجلباب الدين الذي هتكت حرمته وبكل وقاحة من أناس محسوبين على الله ودينه، نعوذ بالله من استكبارهم.

* * *

○ نتيجة الزنى:

عن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن:

١ - لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا إلا فشى فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

٢ - ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم.

٣ - ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.

٤ - ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.

٥ - وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم[(١)].

ونقول إن من أسس قواعد الزنى والفاحشة لأنهم تخيروا ما أنزل الشيطان على أنفسهم المريضة وغير المؤمنة حقاً. فحكمت أئمتهم بغير كتاب الله. عليهم اللعنة الكبرى والعذاب الأكثر ألماً.

• • •

○ صفات الزنى:

يقول ابن القيّم الجوزية: الزنى يجمع خلال الشر كلها من قلة الدين وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، ولا تجد زانياً معه ورع ولا وفاء بعهد ولا صدق في حديث ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة، للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته.

ومن موجباته غضب الرب وإفساد حرمه وعياله.

فعلى هذا المنوال نكون كلنا والعياذ بالله من الزناة.

إما بالفعل وإما بالسكوت على ما نرى ونسمع ونشاهد بأم أعيننا خارج بيوتنا وداخلها.

فكم أُفسدت المروءة في نفوسنا بل في طريقها إلى الاضمحلال

---

(١) حديث صحيح أخرجه (ابن ماجة ٤٠١٩ والحاكم ٤/ ٥٤٠).

وكم أصبحت دماؤنا كدماء الخنازير لا نشعر بأية غيرة على بعضنا وعلى نسائنا وعلى الآخرين.

بل شوهنا مفهوم الغيرة وأصبحنا نعمل بالحسد والتحاسد على بعضنا البعض ونعتبرها من الغيرة والحمية وكما قلنا في كتابنا (شرع الشيطان) بأن الحسين عليه السلام قال: إن غيرة المرأة كفر (وطبعاً المقصود هنا الحسد). وكم نحثها على هذا النوع من الحسد ونعمل على زرعه بقوة في نفوس النساء وذلك بطبع الرجل التملكي لأنانيته المطلقة وانعكاسها على سلوك المرأة والرجل في مجتمع لا يعرف للغيرة معنًى صحيحاً... وهذا ما أكّده ابن القيّم الجوزية أنه من شعب وموجبات الزنى وكم أصبح الكذب والنفاق في أفعالنا، وأحياناً نكون من الجرأة والوقاحة بأن نكذب بأقوالنا وأفعالنا بطريقة نكذب على أنفسنا ونصدقها.

❁ ■ ■

○ محاربة الزنى:

كانت محاربة الزنى من حكماء العصور القديمة بأحكام وطرق وأساليب مختلفة وعديدة ولم تنجح كلها في استئصال هذا الداء الاجتماعي البغيض لأن الحلول دائماً كانت ناقصة وتعتمد في معظمها على اجتهادات شخصية وإن كان في البعض منها شذرات إلهية ولأنها لم تطبق كما فرضها إله العالمين وخالق البشر والعالم بحالهم وأحوالهم.

❁ ❁ ❁

○ العصر النبوي ومحاربة الزنى:

بدأ النبي محمد ﷺ بمحاربة الزنى بما فرضه سبحانه وتعالى من تعليمات وسلوكه المتجسد في شخصه العفيف، بل كان في قمة العفة.

ونجحت حكومته بمساعدة من حوله من الصحابة الكرام وأهل بيته الطاهرين بأن كانوا القدوة الصالحة قولاً وفعلاً وتطبيقاً لأسس العفة والطهارة التي من شأنها أن تقف في مواجهة الفساد والفحشاء، لأنهم كانوا يسعون بحق لإقامة دولة الحق وشرع الله وحده.

وتوجه الناس إليهم بالإخلاص والتقليد لأنه كما قلنا كانوا القدوة العملية وفي قمة الأخلاق والدين والتربية والناس بالرغم من حداثة إيمانهم ومعرفتهم بشرائع الله وأحكامه، ولكن عمق هذا الإيمان والإخلاص لله ورسوله والقدوة العملية، بأن جعل الرجل والمرأة واللذان ما زال كل منهما يحمل رواسب العقلية الجاهلية من سوء الأخلاق والوراثة المهيئة للزنى بأنه إذا أقدم أحدٌ منهم على هذه الفاحشة يأتي إلى الرسول ويعترف أمامه ويرده الرسول عدة مرات إلى أن يصر عليه بتطهيره بالعقوبات اللازمة في هذا المضمار واختلفت الأقاويل على نوعية هذه العقوبات ويستطيع من يريد التفاصيل الرجوع إلى المسائل الفقهية في ذلك.

* * *

○ منفعة العقوبات:

كانت هذه العقوبات من أجل الشخص نفسه ليطهِّر نفسه من دنس الخطيئة ومن أجل الأجيال القادمة لتكون حاجزاً من انتشار هذا الوباء

العظيم والذي هو مقدمة لأوبئة شديدة الخطورة وممتنعة العلاج ولا علاج لها والحد منها إلا بالتوبة والعودة إلى حكم الله وحده.

فكانت رحمة بالولد لأن ولد الزنى إما أن يموت صغيراً لفقد من يعتني به لامتهانه وحقارته، وإما أن يعيش في حالة مرذولة ممقوتة لفقد نسبه وفي الغالب ينشأ جاهلاً فاقد التربية لعدم معرفة الأب وربما صار لصاً سفاك دماء، مخلاً بالأمن العام لاجتماع هذه العوامل مع عامل الوراثة عن انعقاد النطفة في ظل عدم القانون الإلهي والوضعي معاً، مما يؤثر على الجوانب السلبية في نفسية الذي سيأتي لأن الدراسات العلمية تؤكد أن النطفة عندما تنعقد في ظل عدم الراحة النفسية بالتوجه نحو فطرة الإنسان بشكل عام وفطرة المرأة بشكل خاص، لأن هذه الفطرة تتعلق بالرضا الإلهي لأن المرأة إحساسها الديني أقوى وتتأثر كذلك بفقدان الأمن ممن حولها ويزيد هذا الأمر تعقيداً في المدة الطويلة التي يكون فيها داخل رحم أمه وجسده ينمو في أجواء غير طبيعية من جميع النواحي النفسية والاجتماعية وربما الصحية. إلى أن تضعه والدته ويأتي المجتمع ليعزز هذا التوتر والأجواء القلقة التي عاش فيها عدة أشهر فيبدأ ينمو ويكبر ومشاعر الحقارة تلازمه كالنقص أمام الأطفال الآخرين الذين نشأوا في مجتمع باسم أب معروف وأم عفيفة.

وتبدأ ردود الفعل عند هؤلاء الأولاد أو الكبار الذين نشأوا هكذا تتفاوت من حيث الشدة والضعف وتجتمع كل الظروف البيئية العوامل الاجتماعية والوراثية في أفعال هذا الشخص وربما تصل

يوماً إلى الرغبة في الانتقام التي هي من أهم ردود الفعل لعقدة الحقارة وأخطرها على الإطلاق ذلك أن هذه الرغبة الموجودة عند بعض الأطفال والكبار تؤدي إلى الطغيان والفوضى وبذلك تتضمن سلسلة من المشاكل والمآسي التي لا تجر إلا إلى الهلاك للجميع.

وبعض المذاهب الإسلامية تؤكد بأن لا يكون الإمام من أولاد الزنى.

• • •

○ معالجة البغاء بعد النبي ﷺ:

بدأت الدول والحكومات المتعاقبة بعد حكومة النبي الأرحم والأعلم والذي أوشك على القضاء التام على الزنى والفاحشة لدرجة وكما قلنا سابقاً كان من أخطأ وزنى يأتي بنفسه ويعترف بهذا ويطلب التطهير لنفسه.

وكانت هذه الحكومات بعد النبي تارة تقوم بمنع دور البغاء وتارة أخرى تقوم بمعاقبة البغاة من النساء والرجال، وتصدر الأوامر للحد من انتشار البغاء كما فعل ملك مصر السابق فؤاد الأول بقانون بخصوص لباس النساء بأن تكون ساترة لأعضاء الجسم ما عدا الوجه والكفين وأن لا تكون الملابس محددة لأعضاء الجسم وأن لا يسرن في الطرقات ولا يكنّ في الأماكن العامة متبرجات وكانت الآراء الكثيرة حول الوسائل التي تساعد على الغاء البغاء فقد ذكر الدكتور عبد الحميد بعض الوسائل وهي:

١ - التربية الدينية والأخلاقية في جميع المعاهد والمدارس بما يتضمن النظري منها والتربية العملية القويمة.

٢ - العناية بأوقات الراحة وعدم الانصراف فيها إلى الملاهي التي تدعو إلى الإغراء والهياج الجنسي كتشجيع الألعاب الرياضية.

٣ - تحريم الخمر على نحو ما فعلت بعض البلدان المتقدمة والمهتمة في شعوبها لأنها تُذهب العقل وهو أفضل ما في الإنسان وتُحسن القبيح وتقبح الحسن وهي بالاختصار أم الكبائر وكثيراً ما تدعو إلى الزنى الذي تتفشى منه هذه الأمراض.

• • •

○ أسباب الزنى:

حاولوا دراسة أسباب البغاء فمنهم من قال إنها تقسم إلى قسمين: طبيعي وصدفي.

- الأسباب الطبيعية هي الميل الطبيعي للرذيلة وهيجان المزاج (نقول هنا تلعب الوراثة دورها لأن الإنسان بفطرته لا يميل إلى الرذيلة وخاصة المرأة).

- الأسباب غير الطبيعية هي الإغراء والزيجات التي تكون بدون تفكر (وسنشرح ما علاج هذه المشاكل التي ربما تؤدي إلى الزنى والفاحشة).

وأضافوا بأن الفقر والجهل والنقص في التهذيب والتعاليم الدينية والقدوة الرديئة بالآباء. والحضور في مدارس الرقص والحفلات

الراقصة والذهاب إلى الملاهي وعدم أداء الواجبات الدينية لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ونشر الكتب غير الدينية وغير الأدبية والرضا والمكافأة على الرذيلة مع عدم التشجيع على الفضيلة.

• • •

○ الإغراء:

يقول بات: إن عدداً كبيراً من النساء العاهرات قد أصبحن كذلك بفضل الإغراء.

يستعملها المغرر لإتمام غرضه غالباً من الأفعال الدنيئة وفاعلها يغري أنثى فاضلة طاهرة سليمة القلب من رفيقاتها وبيتها لأجل لذة برهة الشهوة الحيوانية وبعد ذلك يهجرها لحياة بائسة وذميمة وفقيرة وذات آلام ولربما تنتهي حياتها بقتل نفسها.

يقول بات: فلا يحق له أن يعد نفسه إنساناً من البشر.

• • •

○ جايشان:

لخص جايشان دوافع البغاء فيما يتعلق بالرجل:

١ - حدة العاطفة الجنسية عنده.

٢ - ميله الدائم إلى التغيير في حياته التناسلية.

٣ - قيام الصعوبات المالية دون تسهيل الزواج وخاصة في الطبقات المتوسطة.

٤ - صعوبة الحصول على الطلاق في حالة فشل الحياة الزوجية.

٥ - الاستكانة إلى حياة الراحة والترف وهذا يمنع رجالاً كثيرين من تقييد أنفسهم بقيود الزوجية والحياة العائلية.

٦ - استحالة الزواج لظروف خاصة متنوعة في الزمن الذي تكون العاطفة الجنسية فيه على أشدها.

وحب المغامرة ورفاق السوء وسلطان الخمر وبعض الأحيان الشذوذ الجنسي يلعب كل هذا دوراً مهماً في دفع الشباب إلى البغاء.

• • •

○ النساء والزنى:

يقول عمر رضا كحالة في كتابه الزنى ومكافحته.

إن سبب البغاء في النساء فالدافع يكون دائماً لحاجة اقتصادية وقد برهنت بارنت دوشاليته إن السبب المباشر لانتشار البغاء في باريس وفي معظم المدن الكبيرة هو العطالة عن العمل وقلة الأجور وهذا هو أيضاً الملاحظ في انكلترا وألمانيا وأميركا. ويتابع وإن لم يكن الفقر وحده هو السبب الوحيد في احتراف عدد كبير من النساء مهنة البغاء فإنه دون ريب أهم تلك الأسباب.

ويقول: ليس هناك شك في أن البيئة السيئة والاغتصاب ثم الهجران والوراثة والضعف العقلي والعاطفة الجنسية الحادة كلها عوامل لها الأثر المباشر في كثير من الأحيان، ولكن العامل المادي أو الاقتصادي هو السبب في الغالبية القصوى من الأحوال وكثير من

الفتيات يندفعن إلى البغاء لإعالة قريب مريض أو أم عجوز أو طفل صغير، أما العاطفة الجنسية قليلاً ما تكون هي الدافع والدليل على ذلك:

أولاً: إن المرأة ذات العاطفة الحادة القوية قليلة الوجود بين العاهرات لأنها لا تستطيع أن تنجح في هذا النوع من الحياة.

ثانياً: إن البغي الناجحة تكون غالباً من ذوات العاطفة الباردة، أقول: كم نحاول أن نقتل هذه العاطفة الجياشة والبناءة في نفوس نسائنا بتشريعاتنا لأنواع من الزواج لا تشعر فيها المرأة إلا أنها أداة لهو وتسلية للرجل وبدون أي مسؤولية منه، وتكون في الغالب صفة المودة والرحمة منتفية في هذا النوع من الزواج، بما يسمى سري - وتسري - ومسيار.

[(عرفي سري) (مؤقتة تسري) (وزواج متقطع مسيار)].

لأننا أبطلنا واقعياً التعدد - وبمسؤولية - وعدالة - ورحمة.

ويتابع إن كل زواج لا يقوم على أساس الحب المتبادل إنما يخالف النواميس الطبيعية ويعمل على أن يكون دعامة من دعائم هذا الشر الاجتماعي الوبيل لأن مثل هذا الزواج الذي يُعقد لدوافع مالية وقد أثبتت التجارب في كل مكان وفي كل زمان بأنه ينتهي دائماً إلى الفشل.

لأنه لا يمكن أن يثير في المرأة عواطفها الرقيقة، ولأنه يدفع بها إلى البرود التناسلي ومتى وصل شعور المرأة إلى هذا الحد مع رجل بعينه فمن العسير أن تستيقظ عاطفتها معه بعد ذلك ويتبع هذه الخطوة

الأولى خطوة التبرم والملل خطوة ثانية هي شعور المرأة بأنها ضحيته في هذا الزواج ثم تتبع هذه الخطوة خطوات تنتهي في الغالب بأن تطالب المرأة العزاء والسلوى في حب جديد.

أقول الآن وبعد أن زجت المرأة إلى العمل في الشارع وخارج بيتها مضطرة في أغلب الأحيان كما تأكد لنا عبر الدراسات الميدانية.. ومن أجل المادة والحياة الأفضل على حد ظنها.. ولأن الرجال بشكل عام بدأوا يستكينون إلى الراحة وربما نصل يوماً بأن يعمل الرجل عملية جراحية في ظل العلم الطبي الحديث وخاصة التجاري. بأن يطلب أن يوضع له رحم اصطناعي داخل جسمه ليصبح ولّاداً للأطفال ولكنه حتماً سيتراجع عندما يجرب عذاب يوم واحد من عذابات الحمل والوحام والولادة، لأن عاطفة الرجل باردة ولا تتحمل هذه المشاق.

المهم بدأ الرجل يزداد يوماً بعد يوم بأن لا يرتبط بالزواج إلا مع امرأة عاملة خارج منزلها مع العلم أن عملها داخل المنزل لو فقهته الدولة كل دولة جيداً لدفعت الأجرة للمرأة بأن تبقى داخل منزلها..

وبدأت تشعر المرأة بأن جلب المادة وإن كان على حساب تعبها وشقائها هو السبب في استجلاب الرجل الزوج. أوبالأحرى صورة الزوج الرجل... وتبدأ الاحتقار له من أول ليلة ارتباط وتزداد الأمور تفاقماً عندما تكلف فوق طاقتها بعد إنجاب الأولاد و...

❁ ❁ ❁

○ رويس:

يقول رويس: إن أسباب ممارسة البغاء تتصل بالوسط الذي تعيش فيه المرأة بالإضافة إلى الغريزة الجنسية الحادة التي تتحسس بها.

* * *

○ دراسات مهمة:

عندما ننظر إلى الأسباب التي بينتها الدراسات وكلها بالغة الأهمية، وعلينا أن ننظر إلى الأسباب الأهم التي لم توضحها الدراسات والعقول التي شردت عن النظرة العميقة والتبصر بما هو الأهم الذي يؤسس هذا المرض الاجتماعي الخطير.

فكما رأينا أن الزنى في العصور القديمة كان بتشجيع ممن يعتبرون أنفسهم بأنهم يتقربون إلى الآلهة.

وفي العصور الدينية من مسيحية كانت بسبب شدة الرهبنة التي خالفت الطبيعة البشرية مما سبب انفجاراً عمت الفوضى من بعده.

وفي اليهودية لأنهم كانوا يشجعون الزنى بشعوب الآخرين ونسائهم فبذلك يكون الزنى قائماً بل وكان اليهود يعتبرون أن الولد من الجارية كمن فسق وجاء بعمل سيء ولا يُعترف به كإبن شرعي.

وفي الإسلام وبعد أن كاد يقضى عليه بفضل تعاليم القرآن الإلهي المنصوص والقرآن المجسد المحسوس بنبي الرحمة والعدل وكما قلنا حتى الذي كانت تجره النفس التي لم تشف تماماً نتيجة العوامل التي ذكرناها، فكان يأتي ويعترف ويحاول أن يطهر نفسه.

وجاء مسلم بن عقبة كما ذكر عمر رضا كحالة في كتابه (الزنى ومكافحته) فنهب المدينة وعمل على سبيها ثلاثة أيام يقتلون الناس وينهبون الأموال ويفسقون في النساء، وذلك عام ٦٢هـ. ويهذا حاول مثل هؤلاء الحكام ومن بعدهم بأن يعيد عصر الجاهلية الأولى إلى بلاد وحكومة الإسلام التي رُكزت دعائمها إبتداءً من النبي الأكرم سيد الرسل محمد بن عبد الله ﷺ وانتهاءً بالخليفة الراشد وصي رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام. وضاعت الخلافة من بعده وضاع الرشد وبدأت الحروب على الإسلام الحقيقي. وبدأت هذه الحكومات الجديدة بملوكها وحكامها الذين ابتعدوا عن الإسلام وأصالته بجر شعوبهم إلى الرذيلة شيئاً فشيئاً إلى أن استفحلت الآن كما نرى هذا الاستفحال بكل وضوح ووقاحة.

بل والأفكار الاستكبارية التي دخلت على رؤوس حتى علماء الدين من مراجع أوائل في أمتنا الإسلامية بمنعهم التعدد في الزوجات الذي ساهم إلى حد كبير بل وكان العلاج الأشفى وكانت بعض الشعوب القديمة قد أدركت هذا ببصيرتها والذين كانوا يعتبرون بأن الرجل الذي يمارس العلاقات الجنسية مع نساء أخريات غير زوجاته الشرعيات عملاً مشيناً وشنيعاً وشرعوا لشعوبهم مبدأ تعدد الزوجات وبهذا اصبحت ممارسة الزنى بينهم قليلة وكانت هذه الشعوب تدعى (أبيونيس) Abiponies.

وكذلك سنة ٧٢٠هـ أُبطلت الفاحشة والخمور أجمع بهمة عليشاه الوزير عندما زوَّج من العواهر خمسة آلاف في نهار واحد.

وطبعاً من مال الدولة والحكومة التي كانت تحت سيطرته.

فكم كان حكيماً ومستبصراً وعاقلاً من أجل مصلحة بلاده التي لا تتم إلا بالعدل بين الرعية وتأمين احتياجاتهم ومعرفة توجيههم إلى المكان والحل المناسب لمشاكلهم ومن ضمن هذه الاحتياجات بل أهمها والتي هي منطلق لاستخراج الهمم في الصلاح والإصلاح والعطاء عندما يشعر الإنسان بأنه مستقر عاطفياً وينعم إلى حد ما بالهدوء والطمأنينة.

فكانت همة هذا الوزير الصالح والمستبصر من أعلى الهمم لأنه لا شك استرشد على الأقل ببدايات الحلول بأن زوَّج العاهرات لأنه عرف تماماً أن غالبية النساء لا تنزل إلى ساحات العهر والفاحشة إلا لأسباب احتياجية من مال - واستقرار - كما ذكرنا سابقاً.

وأما كيفية تزويجهم وممن تزوجوا فهذا لم يتضح لنا وليس بذات أهمية في أصل البحث.

* * *

○ الإصلاح في الإسلام:

الإسلام وضع القوانين الشديدة لمعاقبة الزناة ولكن كانت كآخر حيلة لتطهير المجتمع وليس الغرض منها أن يبقى الناس يرتكبون الزنى ويُجلدون وتنصب لهم الفلك ليل نهار بل الغرض منه أن يحول دون ارتكاب هذه الجريمة حيلولة تامة ولا يدع الأمر يفضي إلى إقامة الحدود على الناس كما يقول حسن القبانجي في كتابه رسالة الحقوق لزين العابدين.

ويتابع لذلك وضع الإسلام برنامجاً عملياً:

١ - بدأ يعتني بإصلاح النفس قبل كل شيء ويعمر قلب المرء بخشية الله عالم الغيب والشهادة العزيز الجبار ويشعره بمسؤوليته يوم القيامة التي لا يستطيع أن ينجو منها بأي وسيلة.

٢ - يبيح له العلاقة المشروعة، النكاح بمثنى وثلاث ورباع أقول (مع العلم الآية أكد الغزالي بأنها أمر إنكحوا..).

٣ - يهيّئ للزوج سهولة لتطليق زوجته وللزوجة سهولة لمخالعة زوجها إن كان لا يحصل بينهما التوافق.

(والآن الطلاق من أجل الطلاق فقط وليس حلاً، وآخر وسيلة يلجأ إليها الطرفان وهذا نتيجة انتشار الزنى وأنواع الزيجات بدون مسؤولية وإبطال التعدد).

٤ - يؤكد أن الله سبحانه وتعالى يكره بقاء الرجال والنساء في المجتمع بدون نكاح.

وكم نعمل على كل ما يكره الله ونحاول بكل قوة بقوانيننا الوضعية وجبروتنا واستكبارنا وعدم زكاة الأموال وحرصنا على دنيانا الخاصة، أن نمنع معظم الناس أن يتزوجوا ولا نعلم بأننا نحرضهم على الزنى والعياذ بالله.

٥ - يؤكد أن الله سبحانه يأمر المسلمين بالنكاح بل يأمرهم أن لا يتركوا حتى العبيد والإماء بغير نكاح، بالحق عليكم من يعمل بهذا الأمر بشكل صحيح إلا ما ندر وندر وفي المقابل يمنع

ويمنع بطرق غير مباشرة وحتى الأحرار أصبح عليهم عدم النكاح لأسباب وأسباب هم وضعوها لاستكبارهم، مما يسبب في هلاك الناس (الأحرار والعبيد).

«إذا حكم الأراذل هلك الأفاضل».

٦ - الغى الإسلام الاختلاط والتبرج في الشوارع للنساء وأمر الناس بالغض من أبصارهم كي لا يتدرج الأمر من التلذذ بالنظر إلى الولوع بالجمال إلى الوقوع في الغرام.

وبدأ الإفتاء المودرن للإسلام الهوليودي. بالسماح بالاختلاط في كل الأمكنة وتحت تأويلات الاختلاط المشروع... وكأنهم يريدون أو لا يعرفون الطبيعة البشرية وقد أثبت العلم الآن أن لكل إنسان (هالة) أو طاقة محيطة به. وهالة الإغراء والجذب عند المرأة أقوى من الرجل وخاصة إذا اقتربت من رجل تتفاعل مع الآخر أكثر. وعلى قدر الاقتراب والتعامل تزداد.

فلذلك نعمل على الزنى الأصغر أو ربما الأوسط لأنه كما نبهنا الرسول الأعلم. النظرة شعبة من الزنى، فكيف الحال بالاختلاط من أي نوع كان (ويقول البعض إن هناك اختلاطاً مشروعاً).

وإذا عملنا (ولا نعمل) بهذا البرنامج نكون قد تهيأت لنا السبل لضبط الفروج إذا همت بالجوع والظمأ كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام ونعمل على عفة أنفسنا التي هي الاتزان في الاستجابة للميول الجنسية دون إفراط أو تفريط والقوانين الآن تساعد بل تجر على الزنى لأنها تعمل بعدم اتزان كما جاء في الإسلام الحقيقي.

لذلك نناشد الحكومات ووزراءها بأن يعودوا إلى عقولهم ودينهم وتقواهم بأن ينظروا نظرة جادة في كيفية محاربة الزنى وانتشار العفة.

بإتباعهم الأساليب كما كانت على عهد النبي الأرحم والأحكم عندما أوشك على استئصال هذا الداء الاجتماعي البغيض بتجسيده لمبدأ تعدد الزوجات الشرعي بالمودة والرحمة والعدل ومع تعليمات وتوصيات أخلاقية ودينية عن خطورة الزنى في الدنيا والآخرة.

[وبأن الزنى يمحق الرزق]

وطبعاً كلنا نهتم لرزقنا في الدنيا قبل الآخرة، فهذا المبدأ إن عُمل به ورُسخ في الأذهان فإنه حتماً سيتآلف ويتفاعل معه حتى غير الملتزمين دينياً لأنهم بالدرجة الأولى يهمهم مبدأ الرزق.

وللأسف الآن أصبحت كل العقول وكأنها أصبحت غير عاقلة وغير فاهمة وغير مسترشدة فمنها لا يريد بل ويصر ويحارب مبدأ تعدد الزوجات بطرق مباشرة وغير مباشرة، وإضافة إلى ذلك لا يتركون تشريعاتهم الوضعية وغير الرحمانية مجرد تشريع بل ويدعمونها بما يقوم على استفحال الرذيلة والفحشاء بمخالفة النواميس الطبيعية لكل من الرجل والمرأة وكما قلنا يعملون على اختلاط الجنسين وهم في أوج الشباب والاحتياج الجسدي كل واحد للآخر.

فترى الجامعات والمدارس الثانوية والمصانع والمعامل والمؤسسات تعج بالنساء والرجال وخاصة بعد أن اقحمت المرأة في العمل خارج منزلها، وكأن هذه المؤسسات بكافة اختصاصاتها، تكاد تصبح يوماً ما والله أعلم، باباً للمواخير التي تزداد كل يوم في العلن أكثر من السر.

والحقيقة وكما يقول السيد القبانجي: بأن الإنسان إذا أدرك خطة الإسلام في إصلاح المجتمع وتطهيره على هذا الوجه (كما ذكرنا) فإنه لا يلبث أن يشعر بأن أي جزء من أجزاء هذه الخطة لا يمكن أن يزاح عن مكانه ولا أن يدخل عليه شيء من النقص أو الزيادة وأنه لا يكاد يهم بإدخال التغيير فيه إلا من سفه نفسه وزعم أنه مصلح بدون أن تكون عنده القدرة على فهمه.

أو من كان يريد الفساد في الأرض وينوي تغيير الغاية التي لأجلها وضع الحكيم المطلق سبحانه وتعالى هذه الخطة كلها.

بل الحكماء في الأرض يظنون أنفسهم حكماء أكثر من الحاكم والحكيم المطلق سبحانه.

ويعاندون في إصرارهم على مخالفة معظم هذه التشريعات وأحياناً جل الخطة.

ويلحقونها بتشريعات أنواع الزواج الجديد في عالمنا الإسلامي الهوليوودي والذي يساهم في صناعة الزنى.

[من سري دائم - وتسري مؤقت - ومسيار متقطع].

اللهم نعوذ بك من شر الزنى

وشر الزناة وشر العاملين على صناعته.

جلال المرأة وقيمتها

○ جلال المرأة وسعادتها:

أين يقع جلال المرأة هل يكون في جمالها الجسدي الظاهري وثروتها - أم في عقلها العلمي الفكري - أم في قوة شخصيتها وثباتها وحضورها - أم في رقتها وأنوثتها - أم في عرفانها وعفافها وتقواها وعبادتها - أم في تبتلها وانقطاعها عن الدنيا؟

كلها أسئلة حاول الكثيرون أن يضعوا النقاط على الحروف في أجوبتها ولأن الأجوبة كانت دائماً لا تعتمد على واقعية حقيقية، بل كل منهم بدأ ينظر من منظار سطحي أو عميق جداً، مما جرَّ المرأة إلى عدم التوازن في حياتها.

ولأن المرأة هي مرآة، فكانت تعكس دائماً أجواء محيطها ومجتمعها ولم تُنقذ من براثن ومخالب وأنياب الذئاب التي من حولها إلا من رحمها ربي وكانت قوة تربيتها من والد مؤمن تقي وأم زاهدة قد شكل شخصيتها الأولى مع رحمة الله بأن تكون ممانعة لكل أنواع الشرور التي استفحلت في مجتمعات تسير بسرعة البرق نحو الحضيض من الرذيلة والفحشاء والمنكر وكان العون لها في ذلك زوجاً قد عرف

ماهية الزواج الحقيقي في الإسلام والقرآن والإنسان فكان لها عضداً وحمى وقوة وغنى.

ولنأخذ نموذجاً من الصنف الأول الذي طال النساء اليوم ليركضن ويتهافتن إلى أن يصبحن من أجمل النساء حتى من وصلت إلى أقصى درجات العلم فهي دائماً تسعى لأن تكون من أجمل الجميلات وكذلك من معها المال الكثير فهي دائماً تحاول توظيفه من أجل إشراقها وجمالها وفتنتها، وإن كانت كل يوم ستخضع لعملية تجميل جديدة ليكون لها النصيب الأوفر من الملامح العالمية والمشهورة في الجمال ضمن مقاييس المتاجرين بهذه النعمة الإلهية، فنرى أن أنف الممثلة الفلانية المشهورة إن وضع على وجهها فتكون ملامح وجهها أكثر جمالاً. وإن كانت ابتسامة أخرى على فمها فستكون أكثر جاذبية. وإذا لونت عينيها بلون عيون واحدة ثالثة فستكون برَّاقة أكثر. وإذا صُبغ شعرها بالأشقر أو بالأحمر أو بالأصفر أو بالأخضر ربما لأن الألوان على الرؤوس بدأت تتطاير بشعرها، ولكن من غير مشاعر بدأت تنساب بالنفسجي والبرتقالي.. والله أعلم إلى أي خليط من الألوان سيصلون يوماً ما. فتظن تلك المرأة أنها ملفتة للنظر أكثر في كل هذا الجمال والجاذبية البراقة وأنها بذلك حصلت على كل الحداقة.

ولكن السؤال: لماذا - وبماذا - ومن أجل من، ومن أقنعها بهذا كله.

وهذه قصة امرأة حصلت على كل شيء في حياتها بما تتمناه كل نساء اليوم بما وصلن إليه من السطحية والهامشية في الذوق ولم تعد

تعرف أن الجمال نسبي فكل شخص يبهره شيء معين في شخصية المتكلم معه، فإذا كنا من أجمل النساء وجلسنا مع أشخاص لا يهمهم من الجمال إلا جمال المرأة في مالها فسوف لا يشعرون بجمالنا إطلاقاً.

وإذا كنا من أجمل النساء وجلسنا مع أشخاص يهمهم فقط الجمال الظاهر وإن أعجبهم جمالنا فهذا النوع من الناس دائماً يبحثون عن مقاييس معينة تتغير بتغير الزمان. يوماً يرون أن صاحبات العيون الزرق والأنوف الشامخة هنَّ أكثر النساء جمالاً وجاذبية، وبعد فترة تتغير هذه المقاييس التي تتماشى في معظم الأحيان مع جمال ظاهر لامرأة مشهورة ويبدأون يقيسون مقاييس الجمال على هذه الممثلة وإن كانت عند البعض الآخر غير جميلة ولكنه بشكل عام إنما يختارون الممثلات ويشهرونهن على مقاييس جمالية (إغرائية) أكثر منها جمال حقيقي كما عرفّت الدكتورة نوال السعداوي لجمال الجسم. فقالت: إنه ليس مجرد استيفاء مقاييس موضوعة وإنما هو صحة الجسم ورشاقته وخفته وقدرته على أداء وظائفه بأعلى كفاءة.

- القوام لا يكون جميلاً إلا إذا تحرك الجسم كله برشاقة وخفة من أجل هدف ورغبة صادقة.

- العينان الجميلتان لا تكونان جميلتين إلا بمقدار ما تعبران عن صدق المشاعر والأفكار.

- الجمال هو الصدق والصدق هو الطبيعة والطبيعة هي قدرة الجسم والعقل والنفس على أداء وظائفها بأعلى كفاءة ممكنة.

وبدأت النساء الآن تستغل هذه الرشاقة والخفة خارج منزلها الذي يستغلها المجتمع التجاري والذي جعلها جسداً عارياً من أجل الإعلان عن البضائع من أجل الربح، بل وكما قالت نوال السعداوي: لقد أصبحت المجتمعات الرأسمالية تبيح الحرية الجنسية لأفرادها من الرجال والنساء من أجل تكديس رأس المال وتقوية النظام الرأسمالي الاستغلالي.

وكم كانت الضحايا كثيرات جداً واستغلت أبشع استغلال ومن ضمن هذه الضحايا إمرأة كانت من أجمل النساء وأصبحت أكثرهن شهرة وثروة. وبعد هذا كله اختارت أن تعيش مع الحيوانات البرية لأنها وجدتها أفضل من الحيوانات والذئاب البشرية.

وبعد أن تعلقت بكل كيانها الأنثوي وعاطفتها البريئة في أول حداثتها لدرجة أنه عندما هددها والدها بأن يقتلها إذا علم أنها عشيقة لهذا الإنسان الذي أحبته بكل كيانها، وقالت له: أفضل أن أكون يتيمة ولا أكون أرملة وأنني لا أريد الأولاد بعد ذلك إذا اضطررت أن تقتل والدي إذا حرمني منك. هذا الحب الذي استحوذ على عقلها وقلبها وروحها.

وبالرغم من بيئتها الاجتماعية المحافظة والاستعدادات الوراثية كانت تهيّئ بريجيت باردو على أن تسلك الحياة الفنية كما قال عنها زوجها الأول الذي وهبته كل كيانها بعد أن أخذ منها العهد بأن تضع كل ثقتها فيه وكان عقلها الغض وقلبها الطري وعواطفها الجيّاشة في عمر لم تصقل بعد هذه الجوانب في شخصها.. وبدأ يحركها ويوجهها

كما يريد. من أجل أن يصنع منها نجمة على حد قوله، ولكن السؤال نجمة في أي شيء. مع العلم هي كانت بالرغم من كل الحياة المرحة التي كانت تحياها خارج بيتها الخاص كانت تنتظر بفارغ الصبر العودة إلى بيتها وكان طموحها الوحيد هو شراء الأثاث لشقتها وترتيبها بعد أن قدّمها لها والدها بدون أي أثاث.

ولم تكن تعلق على أي صورة لها تصدر على غلاف المجلات. . ولا على عقود أفلامها المقبلة، بل كانت تحلم بلون السجادة التي ستضعها في بيتها لأنها وكما يقول عنها زوجها (فاديم) كانت جادة جداً في دورها كربة بيت وكم كانت سعيدة وهي تبني العش الزوجي من لا شيء بدأت فيه.

وكانت تتعامل بكامل الخشونة مع المراسلين والمصورين دائماً تتخلف عن مواعيدها معهم وكان زوجها دائماً يرمم الأُمور كما يقول من أجل مساعدتها في علاقتها مع الصحافة (وطبعاً لنجاح نجوميتها كما يريد).

وكانت من شدة حساسيتها وعواطفها الصادقة لم تحب يوماً بالتعبير عن عاطفتها، حتى الغزل من زوجها. وكانت ترفض مقابلة أعظم الرجال في زمانها أمثال تشرشل مهما كان راغباً في رؤيتها.

وبعد أن شعرت بتعريتها التامة التي فرضها عليها هذا الزوج المخرج من أجل أن يخلق منها نجمة على حد قوله وكم كانت هذه التعرية تخيفها وعندما شعرت بأن هذا الزوج لا يشعر بالغيرة إطلاقاً عليها، قالت للصحف: كنت أتمنى أن يغار عليَّ زوجي (فاديم).

وتزوجت من الإنسان الذي شعرت أنه يغار عليها، مع العلم أنها كانت تتمنى أن تتأكد يوماً بأن زوجها الأول ما زال يحبها.

وكانت تقول: لا أستطيع العيش بدون قلب وكم هو مسكين هذا القلب إنه يلهث بما فيه الكفاية لكي يرسل الدم إلى العروق وعليه بالإضافة إلى ذلك أن يشغل نفسه من الصباح إلى المساء بمشاكل جي.

وحاولت أن تقتل نفسها لأنها كانت تشعر بأنها تحب زوجها ولا تحبه (لأنها تشعر في عقلها الباطني أنه لا يغار عليها).

وقد تمتمت باسمه وهي تنازع.

وتوجهت بحبها إلى رجل ثانٍ ولا تدري إذا كانت فعلا تحبه أم أنها تريد الانتقام لعزتها التي كانت تبحث عنها ولم تعرف كيف وأين ستجدها يوماً، فكم كانت تشكو من ألم الحياة وكانت تعبر عن هذا الألم بكلماتها:

«لم أعد أخرج ولا أذهب إلى أي مكان صدقوني إن ذلك يسبب الجنون. وعندما أكون في بيتي أبدأ بالصياح لوحدي وبالبكاء لشدة كرهي لهذه الحياة ولهذا الخبث، إني أريد السلام، فقط السلام»، لأن هذه النجمة لم تكن تنشد في الواقع وكما قال زوجها فاديم إلا هدوء بيت صغير دافىء ودود يمكنها أن تكوّن فيه لنفسها عادات وتشعر بالحماية من بقية العالم. وبالرغم من أنه كان عندها كما تقول رئيس خدم وثلاث وصيفات وست خادمات وأربعة بساتين وسائق ودوقتين وزوج وملك سابق لليونان أو لأسبانيا... ويدللني وأنا أضجر إني أضجر جداً، لأن هذا الرجل الذي يدللها لم تحتمل كازينوهاته.

○ ترك المال والشهرة:

تركت كل الكفاح من أجل المال والشهرة التي لم تجلب لها إلا التعاسة والشعور في أنها في حرب دائمة مع كل من حولها. واختارت الكفاح من أجل الحيوانات التي تُحارب بكل قسوة. (ويا ليتها اختارت الكفاح) من أجل الطفولة المعذبة والمستغلة من قبل شياطين الإنس والجن بما يعانون من القتل والتشريد والاعتداء بشتى أنواعه.

واختارت العيش مع رجل تشعر معه بالسلام الذي طالما افتقدته في حياتها السابقة.

فالمرأة بشكل خاص، المرأة الحقيقية في فطرتها السليمة تسعى دائماً إلى السكون والهدوء والسلام مع رجل تشعر بحمايته، بغيرته عليها . . . وليس باستغلاله لجمالها أو مالها أو أنوثتها. وإن كانت من أجمل النساء.

* * *

○ جلال المرأة والعلم:

ونأتي على نموذج للمرأة المتعلمة ولا نريد أن نتقيد باسم معين لأن للعلم شأنيته الخاصة ونطالب النساء أن يكن في أعلى درجات العلم والتفوق العلمي. ولكن بالطبع ليس على حساب تكوينها الفطري السليم ولأن العلم مقرون بالعمل فعليها أن تختار بما يتناسب مع المزاج التكويني الذي يتناسب مع هذه المرأة، لأنه كما تقول (بنت الهدى):

إن لكل من المرأة والرجل مزاجاً خاصاً وتكويناً معيناً لا ينبغي لأي منهما أن ينحرف عنه أو ينفصل منه.

فتوزيع المهام إذن بين الرجل والمرأة لا يقوم على أساس تسخير أحدهما للآخر بل على أساس تقسيم العمل وإعطاء كل منهما نوع المهمة التي تنسجم مع طبعه ومزاجه ولولا توزيع هذه الوظائف والتهيئة التكوينية لهذا التوزيع لما أمكن للبشرية أن تعيش على وجه الأرض.

فكما أن على المرأة أن تقوم بوظائفها الطبيعية في الحياة كذلك على الرجل أيضاً أن يقوم بمهامه بالنسبة للمجتمع والحياة ويكون إنجاز هذه الوظائف الطبيعية على سبيل التعاون والتكافؤ لا على سبيل التسخير والإستخدام.

وتتابع: هذا هو التقسيم السماوي للوظائف البشرية دون استغلال من أحد الطرفين وهكذا شاءت العدالة الربانية أن تجعل البشر متساوين في الوظائف متكافئين في الأعمال دون ظلم أو إجحاف وتقسيم الوظائف على هذا النحو يحفظ لكل من الطرفين مكانته الاجتماعية ويحافظ في الوقت نفسه على كيانه الخاص ويجعلهما معاً خادمين للمجتمع على صعيدين متساويين وكل حسبما تفرضه عليه طبيعته ويدل إليه تكوينه ولذلك فقد أسند للمرأة خدمة المجتمع في داخل البيت وأسند للرجل خدمة المجتمع في خارج البيت، وذلك لأن المرأة بطبيعتها الأنثوية الرقيقة أجدر بإدارة البيت الذي يقوم على الحب والعطف والحنان.

ولكن هذا التوزيع العادل للوظائف أخذ يُستغل من قبل بعض دعاة الشر لإبرازه في صورة معاكسة تماماً للواقع تنتج عنه تصورات خاطئة على أن المرأة في الإسلام لا تعد إلا كونها أداة عمل وآلة إنتاج تحت سيطرة الرجل وكان نتيجة لهذه الدعايات السامة أن أخذت المرأة المسلمة تستشعر بنقطة ضعف موهومة وصارت تحاول أن تمحو عنها هذا النقص.

وبما أن الوسيلة الوحيدة التي تمكنها من ذلك هي عدالة السماء وتفهمها الواقعي للحكمة العادلة في هذا التوزيع وبما أنها قد انصرفت عن هذه الناحية بعد أن توهمت اليأس منها فإنها لن تتمكن من الاحتمال إلى ما تسعى مهما حاولت ذلك ومهما بذلت في سبيل ذلك الغالي والرخيص من عزتها وكرامتها وطهرها الغالي الثمين لمن تحولت إلى علم وعمل غير شريف.

وأما من اتجهت إلى علم وعمل شريف ومهم وغالي الثمن من أجل مجتمعها ووطنها والعالم أجمع. . . فسيكون حتماً على حساب كيانها الشخصي وراحتها وراحة زوجها، مما تُكلف فوق طاقتها، وعلى حساب أطفالها إن وجدوا وهذا أفضل ما تطلبه كل امرأة طبيعية تعيش طبيعتها الإنسانية والأنثوية بفطرتها الصادقة وسبحان الله يقول الطب: إن المرأة التي لا تنجب تبقى الفرصة أمامها كبيرة جداً بعكس الرجل، وأصبحت هناك وسائل كثيرة جداً للإنجاب وللرجل كذلك وهذا بحث آخر.

والآن نعيش مع هذه المرأة التي أدركت حقيقة وواقعية التقسيم

السماوي للوظائف البشرية وقد تناولت قصتها السينما (طبعاً الهادفة) وغير الهوليودية وبعد أن قضت معظم شبابها في تحصيل العلم إلى أن أصبحت عالمة في الذرة وقد تغلبت على معظم الرجال في نفس المجال لأنها عملت بمفهوم إثبات الذات مع حب هذا النوع من العلم للتوجيه من محيطها كله بأن تصبح إنسانة وامرأة غير عادية (وربما أرادوها غير طبيعية).

وتفرغت بكل وقتها وجهدها وطاقتها من أجل هذا العلم الغالي والمفيد.

ولكن بعد أن أنجبت الطفل عندما شعرت بالسنوات تمر دون أن يكون لها ثمرة فؤاد تراها أمامها تمشي على الأرض فقد صدق من قال: أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض... وبعد أن أصبح هذا الطفل حقيقة واقعة وبعد أن تعلمنا جميعاً بعد أن كاد الفكر الغربي ينسخ هذا العلم الإلهي الذي تبين حقيقته الفعلية الآن وكانوا يعكسون تماماً المعلومات التي كانت سائدة من سنوات مضت بأن حليب الأم غير كافٍ وغير مهم إذا أرضعنا الرضيع حليباً اصطناعياً مع بعض الفيتامينات بل وظنوا أنه أفضل وأهم. وبعد ذلك أثبتوا أن حليب الأم بالإضافة إلى غذائه المثالي الجامع لكل الفيتامينات الطبيعية ودون تأثيرات جانبية فإنه يحمل في طياته الغذاء الروحي والعقلي الأهم. ألم يقل رسول الله ﷺ: لا تسترضعوا الحمقاء فإن الحليب يعدي. وكذلك الحليب الطبيعي يلعب دوراً مهماً في إنتاج جيلٍ يعرف التنظيم في حياته لأنه يتعود من طفولته أن يعيش الأنس مع دقات قلب الأم

المرضعة المنتظمة وقالوا: إن معظم الشباب الذين يرتادون المقاهي وقاعات الرقص الصاخبة في سن المراهقة يكونون في معظمهم لم يتناولوا الحليب الطبيعي من أمهاتهم، ومعظمهم مهيئين للجنون.

وعندما حاولت هذه العالمة في (الذرة) أن تعيش بل وتقوم بواجبها أمام هذا الطفل الذي أنجبته إلى هذه الدنيا، وكذلك لرعايته الخاصة كي يشعر بحنانها وعطفها وهي كي تتأكد بأنها قامت بواجبها نحوه وبكل محبة وعطف واحترام ولم تتركه للنساء الأخريات وإن كانت الجدة أو حتى أقرب الناس إليه بدل أمه وهي ما تزال على قيد الحياة بحجة أنها في عملها الذي يحتاجه مجتمعها الكبير، ولكن سيكون على حساب أمومتها بأن تُحرم الأم من غيره من الأولاد، وقد تبين أن معظم الأسر الآن بعد التطور الصناعي ونزول المرأة إلى العمل بدأت تحدد نسلها بحكم التطور الاقتصادي والمدنية (الزائفة). فقد أصبح الطفل في معظم الأحيان بغير إخوة أو أخوات وافتقد بذلك كثيراً من العلاقات الضرورية لتكوين خبرته في الحياة (من تعاون ومشاركة) منذ الطفولة ويقولون هذه الأسر المنعزلة القليلة العدد يحرم فيها الطفل من كثير من العلاقات الاجتماعية، والإنسانية الضرورية لصحته النفسية ولنمو شخصيته ونضوجها.

ولهذا اختارت هذه المرأة العودة إلى طبيعتها بعد أن أدركت حقيقة وواقعية التقسيم السماوي للوظائف البشرية. واختارت بأن تكون في داخل منزلها في عمل مطلوب منها أكثر وبحاجة أقوى إلى طاقتها الشخصية وعطفها وحنانها الخاص لابنها، وأن هناك غيرها من

يستطيع أن يقوم بهذا العمل خارجاً ولكن في الداخل لن يستطيع أحد أن يقوم بما يجب أن تقوم به شخصياً وبإتقان كما ستتقنه هي.

والآن الظاهر المجتمعات العلمية والحكومات العملية تريد مجتمعاتها بأن تكون نساء بلا أمهات أو أمهات بلا واجبات، بإجبار المرأة على العمل خارج منزلها إجباراً مباشراً لحاجتها الاقتصادية والمادية ولا كفيل ولا معيل وخاصة بعد أن تقلصت بل أُعدمت حالات تعدد الزوجات والتي كانت تساهم في الكفالة الاجتماعية لمعظم النساء المحتاجات مادياً بالإضافة إلى حاجات إنسانية كثيرة، وإما يجبرون الآن النساء بطرق غير مباشرة للعمل بتدريبها وتثقيفها الخاطىء ومنذ الطفولة بأن كيانها الإنساني لن يكتمل إلا بالعمل خارج منزلها. ولا يعلمون بل ويعلمون أكثرهم ولكن بإتباعهم أهواء الشيطان الأكبر وشيطانهم بدأوا يجردونها من طبيعتها الإنسانية وحتماً وبعد حين سيرجع بالويل والفساد على النساء والأولاد إذا كُلفت المرأة فوق طاقتها داخل منزلها وخارجه، وإذا ترك الأولاد بدون رعاية وخاصة في طفولتهم الأولى والثانية بأن لا يحصلوا على حقوقهم الطبيعية من الرضاعة والرعاية المباشرة من الأمهات، وكم وكم نسمع من القصص يومياً عن المشاكل التي تحدث داخل الأسر والبيوت عند الأطفال الذين تُركوا للخادمات وغيرهن وإهمال أمهاتهم وإن كانوا موجودات داخل منازلهن. فكيف الحال إن خرجن إلى سوق العمل خارج المنزل ولساعات طويلة ولأرهاق أطول.

نعم نريد للأمهات ولكل النساء أن يحصلن على العلم وأن يكن

مثقفات وواعيات من أجل تنشئة الأجيال بوعي وثقافة لتكون هذه الأجيال معطاءة ونافعة للأسرة والوطن والعالم أجمع.

وكم نطالب أن تكون النساء في ازدياد مستمر لتعلم مهنة الطب وخاصة النسائية لأننا في أمس الحاجة لهذا ولكن تستطيع كل امرأة طبيبة نسائية أن تكون في بيتها مع أولادها وفي أوقات منظمة لاستقبال المريضات من النساء وبهذا لا تغيب عن أولادها بل ويشعرون بقدسية مهنة أمهم التي تساعد النساء في مشاكلهن الصحية النسائية...

وعندما تكثر هذه الاختصاصات النسائية بين النساء والمرأة هي الأقدر على فهم أمراض النساء وعلاجها حسب طبيعة خلقتها... سيكون حتماً الضغط غير شديد على هذه الطبيبات وسيكون العلم من أجل العلم والعمل بقدسية ماهية هذا العمل..

فيحيا العلم النسائي من أجل النساء والأطفال والمجتمع والذي سينعكس حتماً منفعة على كل المجتمع بما فيهم الرجال.

* * *

○ جلال المرأة وأنوثتها:

لن نتوغل كثيراً في هذه النوعية من الشخصيات التي أصبحت مبتذلة كثيراً بعد أن جرَّها الرجل نفسه إلى إبراز أنوثتها بطريقة رخيصة وفاضحة وجعلها من أرخص المزايا عند المرأة مع العلم أنها وظفت في مكانها الصحيح لزوجها وبحلال الله وباحترام لما وهبها إياه سبحانه (وولدتها أنثى) لكانت نعمة من الله عليها وعلى الرجل نفسه

عندما يستشعران بحقيقة هذه الأنوثة والعمل على عفتها وصونها من دنس الابتذال والدناءة بأنها خلقت من أجل إسعاد المرأة وشريكها في التواصل الشرعي وتحت ظلال الحب والمودة والرحمة، وبهذا تصون المرأة عفتها وعفة أنوثتها.

فالعفة من الصفات الفاضلة والملكات الإنسانية العليا، فالعفة تدعو الفرد إلى الاتزان في الاستجابة لميوله الجنسية. لأن الميول المكبوتة والرغبات التي لا تلاقي استجابة صحيحة تستطيع أن تولد في النفس الإنسانية عقداً عظيمة وتؤدي إلى مفاسد وانحرافات وجرائم وخيانات وحوادث قتل وغارات و... وفي بعض الأحيان تتسبب في ظهور مرض روحي أو تنتهي إلى الجنون، هذا ما أكده محمد تقي فلسفي في كتابه الطفل بين الوراثة والتربية.

وقال: إن مسألة الاستجابة للغريزة الجنسية وكيفية إرضاء هذه الميول المتعلقة بها من أهم المسائل العلمية والدينية.

* * *

○ برود المرأة الجنسي:

وعندما زاد اهتمام العلماء والباحثين بدراسة البرود الجنسي عند المرأة خرجوا بأن الكبت والضغوط الاجتماعية هي السبب الأساسي لهذا البرود، وتعددت البحوث الطبية التي تدرس أثر الكبت والحرمان على المرأة والرجل على السواء وفي جميع مراحل العمر من الطفولة حتى الشيخوخة وخرجت هذه البحوث بأن للكبت والحرمان آثاراً شديدة الضرر على جسم الإنسان ونفسه وعقله في مراحل النمو

المختلفة منذ الولادة حتى الممات وأن الضرر على الجهاز العصبي والغددي لا يقل عن الضرر على الجهاز التناسلي بل يزيد.

إن أي جهاز في الجسم يحتاج إلى تنشيط لينمو وكذلك الجهاز التناسلي إذا حرم من التنشيط حُرم من النمو وعلى حسب درجة الحرمان من التنشيط تكون درجة الحرمان من النمو إذا كان الحرمان من التنشيط (أو الكبت) شديداً أصيب الجهاز التناسلي بضمور يسمى طبياً الضمور التكويني الناشىء من الخمول الوظيفي ويصاب مثل هذا الشخص بضعف جنسي ويظهر هذا الضعف بوضوح على الأشخاص المكبوتين الذين يمتنعون عن مزاولة أي نشاط جنسي وحينما يتزوجون متأخرين يصابون بتلك الحالة المعروفة طبياً باسم (الارتخاء الجنسي) الناشىء من الامتناع ويؤدي هذا الحرمان أو الكبت الشديد إلى تعطيل النمو العقلي وينتج عن ذلك ضعف في الإدراك والشعور والسلوك.

وقد صوّر الدكتور (يوسف حلمي جنينه) أستاذ الأمراض العصبية بجامعة القاهرة أثر هذا الكبت الجنسي على الجهاز العصبي وقال: من المعروف أن حرمان المخ من المؤثرات الصوتية أو الضوئية في الصغر يؤدي إلى الصمم والبكم أو العمى. فإذا كان المخ يتأثر لهذه الدرجة بحرمانه من مثل هذه المؤثرات الخارجية المكتسبة فماذا يكون مصيره إذا حرم من المؤثرات الجنسية الغريزية المتعلقة باستمرار الحياة؟.

ويقول الدكتور (حلمي جنينه): إن كثيراً من التربويين لا يزالون يعتقدون أن الإعلاء المبكر للغرائز أكبر صيانة لها من الجموح والانحراف.

وهذا اعتقاد خاطىء جداً لأن عملية الإعلاء الجنسي التي تقوم بها المراكز المخية العليا تتطلب طاقة جنسية وهذه الطاقة تتطلب مادة وهذه المادة تتطلب نمواً ونضجاً جنسياً وهذا النمو الجنسي يتطلب تنشيطاً أي أن الإعلاء لا يحدث في رأيه إلا بعد إتمام عملية النمو والنضج الجنسي وما يتطلبانه من تنشيط مستمر.

وكم ركّز الإسلام على هذه القاعدة التربوية بعدم إثارة الغرائز الجنسية عند الأطفال لأنه يصورها ناراً تحت رماد وكان الإسلام يهتم اهتماماً بالغاً بالزواج المبكر عندما يبلغ الشباب الحلم ويشعر بأنه بحاجة إلى الزواج وقد قلنا إن الإنسان الذي لا يحتاج إلى الزواج إنسان غير طبيعي (في كتابنا شرع الشيطان).

وسنسلط الضوء على النوعية من البشر التي لا تشعر بأنها بحاجة إلى الزواج. والإسلام شدد على المسلمين بأن لا تثار هذه الغريزة قبل البلوغ، في الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ [النور: ٥٨].

وقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو أن رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونَفَسهما ما أفلح أبداً إن كان غلاماً كان زانياً أو جارية لكانت زانية.

وقال ﷺ: فرقوا بين أولادكم في المضاجع لعشر سنين.

يقول محمد تقي فلسفي: وقد أوصى الإسلام في منهاجه التربوي الآباء والأمهات بالامتناع عن إثارة الغريزة الجنسية عند الأطفال

بالمناظر المهيجة والعبارات المشينة ويهدف من وراء ذلك كله إلى مسايرة قانون الفطرة وضمور الميل الجنسي عند الأطفال حتى يحين وقت نضوجه وقد عرفنا أن المنهج التربوي الصحيح هو الذي يساير الفطرة في قوانينها ويساعد على إبقاء الميل الجنسي عند الأطفال مجمداً ومستوراً إلى أن تندلع نيران الشهوة فكان الإسلام يعالجها كما قلنا بطرق مشروعة وتربوية تضمن الإحترام للجميع ولأصل طبيعة الإنسان. والآن أعداء الإسلام يحاولون بكل حقارتهم ولا أعرف كلمة أدنى من ذلك بل كلمة (حيوانية) أصبحت قليلة عليهم لأن الحيوانات أصبحت تخجل من شدة القذارة التي تستعمل لإثارة هذه المشاعر الغريزية الطبيعية عند البشر وبإجرام أكبر بالذين يحاولون إثارتها عند الأطفال.

مما يسبب في البلوغ المبكر عندما يتعرضون إلى الإثارات من مناظر خلاعية وكم أصبحت على الطرقات وبالتفاصيل (شبه التامة) وأحياناً التامة التي تكون وراءها باسلوب الخفاء المكشوف. وكذلك بمشاهدتها بكل حرية على شاشات التلفاز وقراءة القصص المثيرة للشهوة، ولم يعد الكثير من الأهل يحاولون الانتباه إلى هذه الأمور الشديدة الخطورة، ومما يسبب عند الأطفال الاختلال الشديد في إفراز الهرمونات ويكون قصر القامة إحدى العوارض لهذا البلوغ المبكر.

ويقول موريس دبس: إن العوامل الروحية من قبيل مطالعة القضايا المثيرة أو مشاهدة المناظر المهيجة تبكر في ظهور بوادر اليأس عند النساء.

وها هي ملكة الإغراء أو ملكة الجنس كما كانوا يسمونها والتي كان الملايين من الرجال تقبل قدميها كما تقول وبعد أن لعبت الدور الغريزي بإثارة أنوثتها في شكل مبتذل وشنيع لأنها كانت تجد في النعمة التي أعطاها الله سبحانه وتعالى إياها مصدراً للربح المادي الكبير ونتيجة العقد المركبة في نفسها من طفولة بائسة وفقيرة جداً ومعاناة في كثير من جوانب حياتها الاجتماعية والمالية وبعد أن وصلت إلى كل ما تريد من المال والشهرة بهذا الأسلوب الشاذ إنسانياً أقدمت على الانتحار لأنها كانت تجد نفسها دائماً إنسانة بائسة ولم تشعر يوماً بجلال قدرها وقيمتها المعنوية في ظل هذا الإغراء كله الذي كانت تمتلكه ليكون سلعة في أيدي من وظفوها واستغلوها لهذا واستجابت لهم. .

لأنها لم تجد في حياتها الإنسان الذي تشعر معه بالأمن والأمان والاحترام بل كل من حولها يركض ويلهث وراء إغراءاتها الجنسية والجسدية الخالية من أي عاطفة. .

وعلينا أن نشير أن كثيراً من هذه النماذج من النساء في أوروبا لعب التشدد الديني في المسيحية دوراً بأن يشذنّ عن قاعدة الإيمان بالله والدين بما يتناسب مع فطرة الإنسان التي تحب الوسط.

وكذلك الآن في البلاد الإسلامية علينا أن ننتظر ظهور هكذا نماذج أكثر، وبدأت تزداد الكميات وذلك في ظل الدين الإسلامي الجديد (الهوليودي).

وقد بدأت جذوره قبل هوليود الآن بالتقنية الحديثة عندما بدأ

الحكام يبتعدون قليلاً قليلاً عن أحكام الإسلام الحقيقية للمرأة إلى أن استفحل الآن هذا الإبتعاد وعُطلت معظم شرائعه. وخاصة تعدد الزوجات المجلل بالمودة والرحمة والعدل. . لأن الوسطية التي تعطي الحل الأشفى والأكمل لمشاكل كل النساء على وشك الزوال، ولذلك سيكون هناك اتجاهان إما تبتل إلى الله وإما انفلات عن الله. وكلاهما سيصب يوماً بالانفلات عن النفس والكرامة والعزة والعفة للمرأة المسلمة.

وسيتبين هذا بعد سنوات قليلة بكل وضوح وقد بدأ بالوضوح قليلاً، فعلينا أن نعود إلى الوسطية والعدل في أحكامنا في الأمور التي تتعلق بكل التشريعات وخاصة أحكام المرأة.

• • •

○ المرأة والعرفان:

نبدأ بمن كان أرحم البشر وأعدلهم وأنقاهم مع الناس كافة. . والنساء خاصة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وكان سيد العارفين وأبا العرفانيين، ولنقتبس قليلاً من حياته وسلوكياته اليومية التي تدل على العرفان الأصيل وبما علينا أن نتبعه بدقة من سلوكه قدر الاستطاعة.

فقد كان ﷺ أحكم الناس وأحلمهم وأشجعهم وأعدلهم وأعطفهم، لم تمس يده امرأة لا تحلّ له، لا يثبت عنده دينار ولا درهم.

كان يجلس على الأرض وينام عليها ويأكل عليها. . وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويفتح الباب ويحلب الشاة ويعقل البعير فيحلبها ويطحن مع الخادم إذا أعيا.

إذا جلس على الطعام جلس محقراً يجيب دعوة الحر والعبد ولو على ذراع أو كراع، يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن ولا يأكل الصدقة، لا يثبت بصره في وجه أحد، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه.

وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع، يأكل ما حضر ولا يرد ما وُجد، وكان ﷺ يشيع الجنائز ويعود المرضى في أقصى المدنية ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده الشريفة، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، يصل رحمه ولا يجفو على أحد.

ولا شتم أحد بشتمة، ولا لاموا أحداً إلا قال دعوه ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، يجلس حيث ينتهي به المجلس.

وعن أنس قال: خدمت الرسول عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته. وكان يقول أنا ابن امرأة تأكل القديد.

وقد بلغت شجاعته ﷺ كما قال علي عليه السلام: كنا إذا احمرَّ البأس إتقينا رسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. وكان يحث على العلم وطلبه ولو في الصين، ويوقّر العلماء ويوجههم إلى ماهية العلم من أجل رفعة البشر وتقدمهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمٰن: ٣٣].

وكان يستغفر الله في اليوم سبعين مرة ويحمده سبعين مرة.

وكان ﷺ إذا غسل رأسه ولحيته غسلهما بالسدر وكان يحب الدهن ويكره الشعث، طيب ريح عرقه يفوق كل العطور، ريقه المبارك يعطي البركة لكل ما يقع عليه وإذا ادّهن به المريض شفي.

ويحث على النظافة والطهارة ويقول: إن النظافة من الإيمان. وكان عنده ثوب خاص ليوم الجمعة... ولو بلغ الناس عشر أخلاقه وكمالاته لسادوا العالم بأكمله بأخلاقهم ومروءتهم.

وكانت له المعجزات الكثيرة، فكان أب الروحانيين كلهم ومؤسس هذه المدرسة العظيمة التي قامت عليها حكومة الإسلام بقيادة النبي الأرحم، بالرحمة والعدل والتسامح ونفي التباغض بين الناس عامة والمؤمنين خاصة.

فكانت أعظم وخير أمة أخرجت للناس، ترحم الصغير وتوقّر الكبير وتعين المستضعف وتواجه المستكبر.

* * *

○ الروحانية اليوم:

ومع هذا فإن ميدان الروحانية الإسلامية كما يقول (طه عبد الباقي سرور): لا يزال أفقاً مجهولاً وسماء محجوبة عن الكثرة الساحقة من الدارسين والباحثين فهي لم تزل لم تدرس بعد دراسة شمول وإحاطة ولم توضع لها مناهج علمية مفصّلة تحدد أهدافها ورسالتها وتوضح مكانتها من القرآن وموقفها من الفكر الإسلامي وأثرها في الحياة الإسلامية وهنا ينبثق سؤال خطير.

هل الحياة الروحية في الإسلام تيار يجري مع أخواته من تيارات العقول والعلوم داخل المحيط الأعظم للحياة الإسلامية والعقيدة القرآنية؟ وهل الحياة الروحية في الإسلام هي عناوين الورع والزهد والنسك والتبتل والتهجد في المحاريب؟.

أم أن الحياة الروحية في الإسلام هي نقطة ارتكاز ومحور رسالة القرآن والمحيط الأعظم الذي تجري التيارات الإسلامية كافة داخل ضفافه وشواطئه.

ومن هذا الالتباس نشأ الفهم الخاطىء للروحانية الإسلامية بل الفهم الخاطىء للعقيدة الإسلامية ورسالتها العالمية.

إن معجزة الإسلام الكبرى أنه أفق عالمي يمشي مع الفطرة الإنسانية للناس كافة.

إنه أفق رحب وسع النفس البشرية بكل ما ركب في هذه النفس من قوى ووسع القلب الإنساني بكل ما يحتوي عليه ويتطلع إليه واتسع العقول على اختلاف مواهبها ومداركها ونظرتها إلى الحياة.

إنه دين جاء لتوحيد القوى والطاقات جميعها على ألا تطغى قوة على قوة ولا تنال طاقة من أخواتها بل تعمل القوى والطاقات في تناسق وتكافل وتعاون لخير الحياة والسمو بأهدافها والاتجاه بها دائماً أبداً إلى خالقها وباريها.

ويتابع ويقول وبهذه القاعدة المحكمة ربط الإسلام الدنيا بالآخرة رباطاً خالداً لا انفصام له، وبذلك تحولت الأعمال جميعها في الإسلام إلى عبادة وعمل روحاني.

وعلى هذا الضوء نستطيع أن نتفهم القرآن وأن ندرك أعمال الرسول ونلمس عظمة رجال الصدر الأول والوثبة الكبرى الخالدة التي دفعت بحفنة من أبطال مؤمنين روحانيين إلى سيادة الدنيا والهيمنة على العالم. بالرأفة والمحبة، وقد كان تلميذ رسول الله ﷺ وربيبه الإمام علي عليه السلام، والذي فتح باب خيبر بقوة ربانية من شدة روحانيته، وكان لا يقوى على كسر قطعة خبز عندما يكون الأمر متعلقاً بشيء من الدنيا ولو قليلاً كالطعام.... وكان يقوى على الحياة اليومية إذا كان الأمر في رضا الله وحده.

لأن كل عمل دنيوي في الإسلام تكمن الروحانية من ورائه وتنطبع بالخير والخلق وما إلى الخير والخلق من نبل وسمو وحب وجمال وكمال كان يعمل به بكل إقبال وقوة.

فقد يكون المسلم قائداً يخوض المعامع وقد يكون عالماً من أفذاذ علماء الطبيعة أو عبقرياً من عباقرة الصناعة أو سياسياً يسوس الأمم ولكنه لا ينسى هذه الروحانية في قتاله وسياسته وتجارب عمله، إنه يرى الله وراء كل شيء، محيطاً بكل شيء رقيباً على حركاته وما يجلجل في صدره وما توسوس به نفسه.

إن المسلم القرآني في مطعمه ومشربه وملبسه وعمله وتوجهه اليومي ينظر إلى الأسباب ويأخذ بها ولكنه لا يغفل أبداً عن مسببها إنه يرى الأسباب كما يقول الغزالي (ظاهرة تلازم الشيء وليست هي علة حدوثه) إن قلبه ليراقب الله، وإن مدَّ يده إلى الطعام سمى باسم الله وتذكر نعمة الله وإن لبس جديداً سأل الله خيره وخير ما فيه وإن سافر دعا الله أن ينجيه ويحميه ويقيه.

هذه الروحانية هي سمة الإسلام الكبرى وهذه الروحانية التي تؤهل المسلم لخلافة الأرض، وكما يقول الرسول ﷺ: إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

إذن فليست العبادة في الإسلام أو الروحانية هي مجرد إقامة الشعائر وتأدية الفرائض بل كل نشاط حيوي للإنسان وكل عمل من أعماله الدنيوية تطهرت فيه النية واتجهت إلى الله (دون أن نكذب على أنفسنا) فهو عمل تعبدي روحاني... أيّاً كان هذا العمل، من إماطة الأذى عن الطريق (وكم أصبحنا نضع كل الأذى ليس على الطريق وحده بل داخل البيوت).

وإلى السعي في الأرزاق إلى الشهوات الحلال إلى الصلاة والصوم والزكاة كل ذلك كان عند ربك مرضياً مأجوراً مكتوباً في الصحف المطهرة.

وكل ذلك تفسير للآية الكريمة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

عبادة بالعمل - عبادة بالفرائض - عبادة بالمعاملات (الأخلاقية والرحمانية) حتماً.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم مقاتلين في سبيل الله، فقهاء، عباداً، زهاداً، يبتغون فيما آتاهم الله الدار الآخرة لا يفرقون بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة في إطار مشترك من هدى الله وسنة رسوله.

ثم مشت الحياة بالمسلمين وامتدت آفاق وجودهم واتسعت عليهم الأرض وفتحت عليهم كنوزها، ففتن البعض بالخصومات والرياسات

وفتن آخرون بالترف والشهوات، واعتقد كل فريق أن الحق معه وما سواه باطل مبتدع أو جاهل لا يرتدع.

كان الإسلام نية صالحة وهدفاً محدداً وغاية مرسومة وأحكاماً قائمة في يسر فصيَّروه إلى افتراضات مغرقة في الخيال مغرقة في الشطط وطاروا به إلى ميادين الصراع الفكري والخصام الذهني الذي لا يهدأ أواره ولا ينطفىء لهيبه.

«أصبح الناس منصرفين عنها لاهين بأقاويل الفقهاء ينتصر كل لإمامه ويعيى في تأييد مذهبه وإن خالف صريح السنة، فانقسم الناس في الفروع شيعاً وأحزاباً وقامت معركة الجدل والمناظرة بينهم واستمرت عدة قرون وكانت عاقبتها أن اعتصم كل بما عنده واطمأنت نفسه إليه وعول في العمل عليه ورفض أقوال خصمه ساعياً إلى دحضها أو أن يضع من شأنها فتناسى الناس بذلك المحيط الشاسع والقاموس الواسع الذي من مائه نبعت عيون فقههم ومن هباته كونت مذاهبهم (يعني الكتاب والسنة)»[1].

وبدأوا وما زالوا يقتلون بعضهم ولا يتطاولون إلا على الأبرياء وأصبحوا أداة في أيدي الاستكبار العالمي والجبروت والإجرام الصهيوني والعياذ بالله.

وفي هذا المعترك وفي قلب هذا الصراع ظل فريق من الأمة الإسلامية على الجادة يعبدون الله كما أمر ويفهمون الحياة كما صورها القرآن وكما طبقها الرسول وارتفعوا بأنفسهم فوق الجدل والصراع والخصومات قالوا ربنا الله واستقاموا على نهجه الذي ارتضى.

---

(١) جاء في كتاب مفتاح السنة ص ١٦٦.

○ زهد المرأة وعرفانها في الإسلام:

ولأننا بصدد المرأة فلنأخذ نماذج من هؤلاء اللواتي ارتفعنَ بأنفسهن فوق الجدل وقالنَ ربنا الله واستقمنَ حق الاستقامة، أول امرأة زهدت في الإسلام بالدنيا كلها بعد أن ملكتها بيدها وثاني امرأة كانت في العالم كله بعد السيدة آسيا رضي الله عنها .

وثاني إمرأة بعد مريم عليها السلام تبتلت إلى الله باستثناء استثنائية مريم (بالتبتل الجسدي).

لأن تبتل السيدة مريم كان استثناءً للنساء كلهن لحكمة معينة منه سبحانه ليبين للناس أنه يستطيع خلق الإنسان بدون الأسباب كما خلق آدم من تراب. ولكن ليؤكد لنا أن هذا استثناء فقط لسيدة واحدة فقط، وقد أراد هذا سبحانه لحكمة إلهية من أجل البشر أجمعين، وهذا يؤكد لنا أنه سبحانه لا يريد لأحد من النساء أن تكون على عكس ما يريد عندما جاء بخاتم الرسل وخاتم الرسالات... والتي كانت حركة عملية كما ذكرنا في الدنيا من أجل الآخرة. أي علينا أن نأخذ بالأسباب، فهذا هو مطلبه وأمره وعلينا أن نستجيب.

واستجاب الرسول كرجل وتزوج عدة نساء وكان متبتلاً إلى الله وسيد العارفين.

* * *

○ الصحابية الأولى:

واستجابت سيدة الإسلام الأولى خديجة عليها السلام وتبتلت إلى الله بحبها لرسوله وطاعتها له.

فهي خديجة بنت خويلد وأمها فاطمة بنت زائدة، وكانت من أعرق الأسر في النسب الرفيع الزكي الطيب والخلق الكريم والصفات الفاضلة وكانت تعرف بالطاهرة وبسيدة نساء قريش قبل زواجها من النبي، ومفطورة على التديّن بعامل الوراثة من أبيها، وتزوجت مرتين قبل النبي ﷺ وبعد وفاة زوجها عتيق بن عايد المخزومي أعرضت عن الرجال وهي لا تزال في ريعان شبابها فخطبها أشراف قريش وقدموا لها العروض المغرية فلم تستجب لأحد منهم.

والآن الأرملة يريدونها علماء الدين الإسلامي الجديد أن تتبتل تبتل مريم ويخالفون حكمة الله، ولا يريدون أن يزوجونها بعد ترملها بعد إعراضهم عن حكمة الإسلام في التعدد.

وبقيت السيدة خديجة عليها السلام تعيش بعيدة عن الرجال ومشاكلهم طيبة النفس مرتاحة الضمير لأن أكثر الخاطبين كانوا يضعون في حسابهم ثروتها الواسعة حتى بلغت سن الأربعين.

وبدأت تطرق إلى مسامعها سيرة محمد بن عبد الله ﷺ وعن نبل أخلاقه وكريم صفاته ورجاحة عقله ودقة أحكامه كما في قضية الحجر الأسود... وصدق كلامه.

واختبرته في ذلك كله بالأموال والتجارة التي تكشف سرائر الرجال بعد أن أختبر بالنساء فهو قادر على أن يتزوج أكثر النساء جمالاً وأجملهن في كل الصفات الخارجية وأصغرهن سناً حتى عائشة قالت: لم يتزوجني رسول الله ﷺ إلا بعد وفاة خديجة بثلاث سنوات.

وهذا توكيد بأن زواجه من النساء لم يكن من أجل ذاته وشخصه

واختياره بل بوحي يوحى وكل امرأة اختارها سبحانه وتعالى لحكمة معينة لسنا بصدد شرحها الآن.

وبعد أن تأكد للسيدة خديجة بأنه رجل غير عادي ولا يوجد له مثيل في زمانها بل في الدنيا كلها مع شدة تواضعه بأنه كان دائماً يقول أنا مثلكم ابن امرأة تأكل القديد.

وبعد أن سمعت من ابن عمها ورقة بن نوفل عن صفات النبي خاتم الرسل، تقدمت بشخصها أولاً لتكسب شرف المشاركة والزواج من سيد البشر لأنها كانت متأكدة وفقط تنتظر خبر السماء والوحي عندما يحين وقته بالنزول على قلب هذا الصادق الأمين.

وبعد خمسة عشر عاماً من تاريخ زواجهما الفريد من نوعه والذي كان وسيظل حديث الناس لأنه كان سخياً في البذل والعطاء والصبر والتضحيات في سبيل المبدأ والعقيدة في أحلك الساعات وأقسى المراحل التي لا يقوى على تحملها إنسان.

وكان حينها هذا الزوج العظيم في سن الأربعين واستقبل الزوجان ذلك الحدث الخطير لا في حياة تلك الأسرة الوادعة فحسب ولا في حياة قريش والعرب وحدهم، بل في حياة الإنسانية جمعاء.

فقد تلقى الزوج العظيم رسالة السماء إيذاناً بحياة جديدة شاقة مليئة بالاضطهاد والمتاعب والنضال المرير.

وعندما بشرها الرسول الأرحم بأن قال لها: يا خديجة انتهى عهد النوم والراحة هذا الأمين جبرائيل يأمرني أن أنذر الناس وأدعوهم إلى

الله وعبادته، ووقفت زوجته إلى جانبه من اللحظات الأولى بنفسها ومالها عندما احتاجت الدعوة للمال. لذلك نقول لم يكن رسول الله ﷺ ليأخذ قرشاً واحداً من مال خديجة من أجل شخصه بل هي بذلت مالها بعد نفسها من أجل الإسلام والدعوة إلى الإسلام وبما يتطلبه الموقف والموقع من بذل المال وخاصة في تحرير العبيد من أيدي أسيادهم الكفرة الفجرة الذين عذبوهم بأشد أنواع العذاب.

ووقفت بجاهها تنصره وتشد أزره كما فعل عمه أبو طالب، وكانت تشاركه كل أنواع العذاب والاضطهاد والحرمان في جميع المراحل التي مرَّ بها كما اتفق على ذلك جميع المؤرخين والمحدثين.

ولما اتفقت قريش على مقاطعة (بني هاشم) والتضييق عليهم وحرمانهم من ضروريات الحياة والعيش وأخرجتهم من مكة إلى شعب أبي طالب وضيَّقت عليهم الحصار حتى يموتوا جوعاً أو يعودوا إلى قريش وآلهتها، لما اتفقت قريش على ذلك ونفذت بنود الاتفاق سارعت السيدة خديجة في الخروج مع زوجها الرسول، وتخلت عن دارها ومالها تاركة كل ذلك بنفس طيبة مطمئنة بحسن المصير وأن الفوز سيكون للمؤمنين بحقهم والصابرين على الأذى في سبيل الله.

وكانت تطلب منه أن يسأل الله بأن يبني لها بيتاً في الجنة.

وبقيت خمسةً وعشرين عاماً إلى جانب الرسول مليئة بالحب والتفاني ذابت خديجة في حبها لزوجها صاحب الرسالة الإلهية وأخذت منه كل ما أعطاها وأعطته كل ما أخذ منها. لقد كان الأخذ والعطاء بنسبة واحدة بدون أي شعور من الطرفين بأن الأخذ هو غير

العطاء أو أن العطاء هو غير الأخذ. هذا ما قاله هاشم معروف الحسني في كتابه سيرة الأئمة الإثني عشر.

وماتت خديجة (وسمي عام موتها مع موت عم الرسول أبي طالب بعام الحزن)، غابت عن دنيا الناس ولكنها ظلت ماثلة بين عيني زوجها العظيم الوفي وكان يُكرم كل من له علاقة بهذه الإنسانة الطاهرة والزوجة الوفية الرسالية.

ومع أنه كان واسع الصدر صبوراً على الأذى لا ينفعل لكلمات عابرة من هذا النوع فقد بدا عليه الغضب والانفعال عندما ذكرتها إحدى زوجاته بكلام يتبين أنه يصدر عن غيرة عمياء حتى من الأموات، ويقول محمد راتب النابلسي في إحدى محاضراته: إن غيرة المرأة شيء طبيعي في المرأة، ويؤكد للرجل بأن لا يغضب عندما تغار زوجته أو تتصرف تصرفاً ينطلق من غيرة.

أقول: إن غيرة المرأة ليس من فطرتها المؤمنة وإنما الذي يثير الغيرة في نفس المرأة هو الرجل غير العادل وغير الأخلاقي لأن المرأة بحسها الديني الأعمق تميل إلى الرجل من هو بإحساسه الديني أقوى منها ومن هو كذلك، لا يثير غيرة المرأة ولو بكلمة.

إلا اللهم إذا كان طبع المرأة غير مستوفي الشروط الإيمانية الحقة لا سمح الله، فلذلك نقول هذا الكلام هو مس غير أخلاقي بشخصية الرسول، وكذلك بشخصية الزوجة وخاصة إذا ثبت أنها لم تكن تغار أصلاً وكانت كبقية الزوجات متآلفة مع أخواتها في الإيمان والرسالية

وإن كانت هذه النسوة وكما أمر سبحانه هنَّ من المثنى والثلاث والرباع للرسول ﷺ.

وجاء في سيرة ابن اسحاق أن رسول الله ﷺ كان لا يسمع شيئاً يكرهه ويحزنه إلا فرَّجه الله عنه بخديجة تثبّته وتخفف عنه وتهوّن عليه أمر الناس حتى فارقت الدنيا.

فما كان أعظمه من تبتل إلى الله عبر رسوله.

* * *

○ تبتل فاطمة الزهراء عليها السلام:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١-٣] صدق الله العلي العظيم.

وقال رسول الله ﷺ: إن الله يرضى لرضى فاطمة ويغضب لغضبها. كما جاء في الروايات عند جميع المذاهب الإسلامية.

فقد كانت الزهراء نقطة الوحدة والائتلاف بين المذاهب.

تقول بنت الشاطىء في حديثها عن بنت النبي ﷺ: لقد شاء الله أن يقترن مولدها بالحادث الجليل الذي ارتضت فيه قريش محمداً حكماً فيما شجر بينها من خلاف على وضع الحجر الأسود عند تجديد بناء الكعبة المكرمة فاستبشر أبواها بمولدها... قبل البعثة بخمس سنوات وكأنه سبحانه أراد أن تكون ولادة زوجها الكفوء الإمام علي عليه السلام داخل الكعبة، وولادتها بتثبيت هذا الحجر المنزل من الله سبحانه وتعالى (وكم له من أسرار بالغة العظمة) داخل حيطان الكعبة المشرفة.

ويقول آخرون إنها ولدت بعد البعثة بخمس سنوات وكما يقول هاشم معروف الحسني ومهما كان الحال في تاريخ ولادتها فقد نشأت بين أبوين ما عرف التاريخ أكرم منهما ولا كان لأحد في تاريخ الإنسانية ما لأبيها من الآثار التي غيرت وجه التاريخ ودفعت الإنسان العربي أشواطاً بعيدة إلى الأمام في بضع سنوات معدودات ولا حدَّث عن أم كأمها أعطت مالها كله للإسلام، ووهبت كل حياتها لنبي الإسلام مقابل ما أعطاها هذا الإسلام ونبيه بإذن الله من هداية ونور حتى أصبحت السيدة الأولى والصحابية الأولى بين نساء المسلمين أجمع.

ونشأت في دار أبويها وحيدة يغمرها حنان أبيها الذي فقد بنيه ولم يبق له من عزاء بعدهم إلا عبء النبوة الذي تأهب له زمناً ونهض به زمناً وتحمل في سبيله ما تنوء به الجبال فأنى اتجه وأنى ذهب يرى قريشاً وغلمانها وعبدانها له بالمرصاد وفاطمة على صغر سنها ترى ذلك وتساهم مع أمها في التخفيف من وقع ذلك في نفسه فكانت تتلوى من الألم لما يلقى من فادح الأذى وتتجرع مرارة ما كان يكابده المسلمون الأولون من اضطهاد مرير حتى لتكاد تحس لسع الصخور الملتهبة وهي تلقى عليهم في حر الصيف وساعات اللهيب المحرقة وألم السياط التي كانت قريش تلهب بها ظهور المستضعفين والمعذبين بين أسوار الحصار المنهك عدداً من السنين وتوالت عليها المشاهد التي كان وقعها أليماً على نفسها وقلبها وهي لا تزال في سن الطفولة ترى أباها يتلوى من أجل أولئك المعذبين ولا يستطيع أن يصنع لهم شيئاً وخاصة بعد أن استفحلت قريش في تعذيبهم.

وعندما كانت تبكي على أبيها لما ترى من تجمع مشركي قريش حوله يسخرون منه ويعدون الخطط لإيذائه، فسمعت ورأت منهم ما يجرح نفسها ويدمي فؤادها، كان يقول لها: (لا تبكي يا بنية إن الله مانع أباك وناصره على أعداء دينه ورسالته).

فقد أدركت من صغر سنها معنى بنوتها لمن أصطفاه الله واختاره بشيراً ونذيراً لأهل الأرض ما دامت السموات والأرض، ولا عزَّ عليها أن تتخلى عما هو منتظر لأمثالها من راحة وخلو بال فلم يشغلها عن رعاية أبيها والانصراف لشؤونه شيء من شؤون الطفولة ولا من شؤون الناس وصمدت لجميع الأحداث مع قسوتها وجسامتها لم تساورها الشكوك ولو لحظة واحدة ولا وهنت عزيمتها طرفة عين أبداً وظلت تراقب الأحداث بعد هجرة أبيها في جو مشحون بالقلق على مصيره حتى انضمت إلى موكب الهجرة في البلد الأمين مع علي عليه السلام بعد أن نفذ وصية رسول الله ﷺ بكل دقة. وكان أولها النوم والمبيت مكان النبي ﷺ وبعد ذلك بأن يلحق به في هجرته مع الفواطم من بني هاشم.

وأحست فاطمة بالإنفراج مما كانت تعانيه من القلق والخوف على أبيها ودعوته وبخاصة بعد أن رأت هؤلاء الصحابة في دار هجرته يتسابقون إلى الإسلام والبذل والعطاء ويندفعون إلى السرايا والغزوات دفاعاً عن الإسلام وأهله ويحققون الإنتصار تلو الإنتصار.

ورأت ابن عمها البطل الذي عاشت معه طويلاً في كنف أبويها الرحيمين الكريمين والذي لم يكن بين فتية قريش ولا بين جميع العرب من يساويه في البطولات والتضحيات والدفاع عن النبي ﷺ.

لقد رأته وقد تجاوز العشرين من السنين ألصق بأبيها من جميع المسلمين وقد احتل من نفسه مكاناً لم يكن ليطمع به أو يحلم ببلوغه أحد من مهاجري المسلمين وأنصارهم وسمعت أباها يقول له وحشود المسلمين من حوله يوم آخى بين المهاجرين والأنصار:

لقد تركتك لنفسي فأنت أخي في الدنيا والآخرة.

وعندما بلغت مبلغ النساء بدأ الصحابة يتقدمون لخطبة الزهراء وكما جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد أن أبا بكر وعمر بن الخطاب ممن خطبوها، وحين خطباها من النبي ﷺ لم يزد على قوله:

إني أنتظر فيها أمر الله.

وهذا شجع علياً بأن يتخلى عن حيائه الذي كان يمنعه من أن يتقدم لرسول الله ليخطب ابنته وابنة أخيه في الدنيا والآخرة، فقد كان من شدة تواضعه لا يتجرأ بأن يطلب ابنة رسول الله خوفاً من أن لا يكون لها الكفء في كل شيء يوماً ما، لما كان لها من الشأن الكبير عند أبيها.

ولما دخل على النبي وهو مطرق إلى الأرض من الحياء فأحس النبي ﷺ بما في نفسه فاستقبله ببشاشته التي اعتاد أن يستقبله بها ورحب بقدومه وأقبل عليه النبي يسأله برفق ولطف عن حاجته وألح عليه السؤال فأجابه بصوت ضعيف وهو مطرق برأسه (ذكرت فاطمة يا رسول الله) ولم يزد على ذلك فردّ عليه النبي بقوله مرحباً وأهلاً، وخرج علي عليه السلام ليقص على أصحابه ما جرى له وكانوا بانتظاره فلما أخبرهم بما جرى له مع النبي ﷺ قالوا له: لقد أجابك النبي إلى ما تريد.

وعاد رسول الله إلى بيته ليعرض على بضعته الزهراء رغبة علي بها، فقال لها كما جاء في رواية ابن سعد وطبقاته لقد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه وأحبهم إليه بعد رسول الله، وقد عرفت علياً ومواقفه. وجاءني اليوم خاطباً فما ترين فأمسكت ولم تتكلم بشيء فخرج النبي ﷺ وهو يقول: إن سكوتها رضاها وإقرارها.

ثم إن رسول الله ﷺ جمع المسلمين وخطب فيهم وقال كما جاء في رواية كشف الغمة عن المناقب.

إن الله أمرني أن أزوج ابنتي فاطمة من علي عليه السلام وقد زوجتها على أربعمائة مثقال فضة.

فقال علي عليه السلام: رضيته يا رسول الله وخر ساجداً إلى الله.

فقال النبي ﷺ: بارك الله فيكما وجعل منكما الكثير الطيب.

وجاء علي بالمهر بعد أن باع درعه لعثمان بن عفان بأربعمائة وسبعين درهماً فحملها ووضعها بين يدي رسول الله، فقبض منها النبي قبضة ودفعها إلى أبي بكر وقال له: اشتر لها ما يصلحها من ثياب وأثاث للبيت وأرسل معه عمار بن ياسر وجماعة من الصحابة. ودفع مبلغاً لأم أيمن لتشتري به أمتعة للبيت وكان كل جهازها:

- قميص بسبعة دراهم.
- فراشان من خيش مصر حشو أحدها ليف وحشو الآخر من صوف الغنم.
- وأربعة مرافق من أدم الطائف حشوها من الأذخر (نبات طيب الرائحة).

- وستر رقيق من صوف.

- وحصير هجري.

- ورحى لليد - ومخضب من نحاس (إناء لغسل الثياب) وسقاء من أدم، وقعب للبن، ومطهرة مزفتة، وجرة خضراء، وكيزان من خزف وعباءة قطواني، وقربة ماء وغير ذلك من الأدوات الأكثر ضرورة في منزل أي فقير من الناس.

وبعد أن بارك لهما رسول الله، ودعا لهما بأن يخرج منهما النسل الطيب وقد استجاب سبحانه لدعائه ورزقهما أئمة الهدى وخلفاء الله على أرضه وأمناءه على وحيه بعد رسول الله ووصيه وكان الذي تمسك بهم نجا ومن تخلف عنهم وعن سيرتهم وتعاليمهم ضل وغوى كما جاء في أصح الروايات عند السنة والشيعة.

ونعود إلى هذا البيت الفقير بيت حارثة بن النعمان الملاصق لبيت أبيها والذي وصفه كل المؤرخون والمحدثون بالخشونة والفقر. وبتلك البساطة من مظاهر الحياة فقد استقبلا حياتهما الجديدة وتقدمت سيدة نساء العالمين إلى ساحة الحياة الجديدة تحمل على منكبها أعباء المشاركة مستجيبة للمشيئة الكبرى صابرة على مرارتها لتفوز بنعيم الآخرة راضية مطمئنة إلى زوجها تغمرها المودة والوداعة وأكفت زوجها بالعمل داخل البيت حباً ورأفة وأكفاها زوجها العمل خارج البيت مسؤولية وجهاداً.

وكانت طيلة حياتها مع أبيها وبعلها لا تُرى إلّا واضحة المحيا باسمة الثغر لم تغرب بسمتها إلا بعد وفاة أبيها.

- وكان لسانها لا يجري بغير الحق ولا تنطق إلا بالصدق.
- عزوفة عن الشر محبة للخير.
- وفية بالوعد صدوقة في القول حافظة للسر.

ورثت كل خصال الخير من أبيها وعاشت مع زوجها وهي تعلم بأنه لم يبلغ ما بلغه عند رسول الله إلا لأنه كان صورة ثانية عنه في جميع صفاته وخصاله.

* * *

○ مناقبها وكراماتها:

روي عن الشيخ الطوسي عن عائشة قالت: ما رأيت من الناس أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة كانت إذا دخلت عليه رحب بها وقبل يديها وأجلسها في مجلسه فإذا دخل عليها قامت إليه فرحبت به وقبلت يديه.

وكانت أقرب الناس إلى أبيها في الجود والسخاء لأنها سمعته يقول: السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنة. وسمعته يقول: السخي قريب من الله قريب من الناس وقريب من الجنة بعيد عن النار وإن الله جواد يحب الجواد.

وكان من أبرز صفاتها الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بواقع القضاء فقد روت عن أبيها ﷺ أنه قال: إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه. وروت عنه أنه

قال: إن الله أوحى إلى موسى بن عمران وقال له: أنا أعلم بما يصلح عبدي المؤمن فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصديقين عندي.

وروى عن السيدة عائشة قالت: ما رأيت أحداً أصدق من فاطمة غير أبيها.

ويروي ابن بابويه بسند معتبر عن الإمام الحسن عليه السلام: رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار.

وكانت عليها السلام تقول: نفكر بالناس قبل أن نفكر بأنفسنا وندعو للناس قبل أن ندعو لأنفسنا. لأنها تعرف تماماً بقضاء حوائج المؤمنين.

عن الباقر عليه السلام: إرحم الناس والضعفاء واطلب برحمتك إياهم أن يرحمك الله.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

ولها من المناقب والكرامات الكثيرة ولا نستطيع سردها وتبيانها كلها أو معظمها بل نكتفي بالإشارة إلى بعضها.

منها تسبيح الزهراء بعد كل صلاة، الله أكبر (أربع وثلاثون مرة) والحمد لله (ثلاث وثلاثون مرة) وسبحان الله (ثلاث وثلاثون مرة)

فيكون المجموع مائة، ومن يواظب على هذا التسبيح بعد كل صلاة لا يعرف الشقاء وسوء العاقبة.

ومنها دعاء النور الذي علمته عليها السلام لسلمان رضي الله عنه وقالت: إن شئت أن لا تصاب بالحمى في الدنيا أبداً فواظب عليه.

والدعاء هو:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باسم الله النور، باسم الله نور النور، باسم الله نور على نور، باسم الله الذي هو مدبر الأمور، باسم الله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور في كتاب مسطور وفي رق منشور بقدر مقدور على نبي محبور، الحمد لله الذي هو بالعزِّ مذكور وبالفخر مشهور وعلى السرّاء والضراء مشكور وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

قال سلمان فتعلمتهنَّ فوالله لقد علمتهن أكثر من ألف نفس من أهل المدينة ومكة ممن بهم الحمى فكل برىء من مرضه بإذن الله تعالى.

ويقول الشيخ عباس القمي يقول شيخنا في (المستدرك): نقل بعض معاصرينا من أهل السنة في كتاب (خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام) هذا الدعاء عن بعض العرفاء:

اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نورٌ بصري وبصيرتي وسرّي وسريرتي.

وبالتحقيق المتصل بالتجربة فإن هذا الدعاء مفيد في إنارة البصر فمن قرأه عند الاكتحال نوَّر الله تعالى بصره.

ويروي القطب الراوندي مرسلاً أن أم أيمن لما توفيت فاطمة عليها السلام حلفت أن لا تكون بالمدينة إذ لا تطيق أن تنظر إلى مواضع كانت بها فخرجت إلى مكة فلما كانت في بعض الطريق عطشت عطشاً شديداً، فرفعت يديها وقالت: يا رب أنا خادمة فاطمة عليها السلام تقتلني عطشاً فأنزل الله عليها دلواً من السماء فشربت فلم تحتج إلى الطعام والشراب سبع سنين وكان الناس يبعثونها في اليوم الشديد الحر فما يصيبها عطش.

وقد روى المحدثون من سنة وشيعة عشرات الروايات في فضلها وكراماتها.

وقال هاشم معروف الحسني: وكان تاريخها الحافل بالقيم والتضحيات في سبيل أبيها ورسالته التي جسدتها في سلوكها وأقوالها يغنينا عن التعلق بالغيبيات التي لا تتسع لها آفاق الكثير من الناس ولا يقوى على تحملها إلا من أوتي الحكمة وفصل الخطاب.

وتابع: لقد ظلت فاطمة الزهراء طيلة حياتها مع أبيها وزوجها الإمام وذابت في حبها كما تذوب الشموع وكانت مستقراً للذرية الطاهرة التي انحدرت بمشيئة الله صانع المشيئات من نبي ووصي فأولدت لهما الحسن والحسين وقال فيهما جدهما: هذان ولداي إمامان قاما أو قعدا. وأدخلهما تحت كسائه مع أبيهما وأمهما فأنزل الله عليه:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وفي اليوم الأخير من حياتها بعد معاناتها من مرضها الأخير حزناً على أبيها رسول الله ﷺ وقد بشرها أنها أول أهل بيته لحوقاً به وكان يبدو عليها الارتياح فقامت من فراشها واغتسلت ولبست أحسن ثيابها وكأنها تماثلت إلى الشفاء، فاضطجعت واستقبلت القبلة وفارقت الدنيا التي أخذت فيها الزهراء مكانها الرفيع بين أعلام النساء في التاريخ واقترن اسمها بمئات الشهداء وظلّ اسم المنتسبين إليها يقض مضاجع الحكام والطغاة على مر العصور إلى الآن لأن الانتساب إليها من أقوى الدعائم لأنها بنت النبي وزوجة الوصي وأم الأئمة خلفاء رسول الله ﷺ وكانت أم لآلاف الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الضعفاء والمحرومين والمعذبين بعد أن تعلموا منها كيف تدافع عن حقنا إذا كان متمثلاً في ارث مالي عندما السياسة تأخذه لمصلحتها والذي سيكون يوماً دعماً كما كان مال خديجة لإنشاء الأمة الإسلامية ابتداءً بالنبي ﷺ. وصقلها بالروحية الكبرى وبالخط الإسلامي الأصيل بإخلاص الوصي.

قال العقاد وهو يمهد للحديث عن وفاتها: إن في كل دين صورة للأنوثة الكاملة المقدسة يتخشع بتقديسها المؤمنون كأنما هي آية الله من ذكر وأنثى.

فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء، ففي الإسلام لا جرم أن تتقدس صورة فاطمة البتول.

فقد تبتلت إلى الله بجهادها مع من لقبها أم أبيها خاتم الرسول، وقد تبتلت إلى الله بإخلاصها وحسن تبعلها مع زوجها الوصي، مع

إقامة كل الفرائض الدينية والمستحبات، من صلاة، صوم، حج، عبادة ودعاء، وعلم وخطابة وتبليغ...

بصبر على البلاء وشكرٌ على الرخاء، فقد كانت فاطمة، الصديقة، المباركة، الطاهرة، الزكية، الراضية، المرضية، المحدَّثة، والزهراء.

وبهذا تكون سيدة العارفين بعد سيد العارفين معلمها رسول الله، وصاحبة أول مدرسة للعرفان الحقيقي المجلل بكل الخصال التي ذكرناها مع الحب الروحي والجسدي لزوجها فقد كانت زوجة وابنة وأمّا ولولا النبي ولولا الوصي لما كانت جلالة فاطمة عليها السلام.

* * *

○ خريجات العرفان من مدرسة الزهراء:

وتخرجت من مدرسة الزهراء عليها السلام نماذج من النساء اللواتي كان لهن ذوق عرفاني ازدهر في الإسلام واللواتي قلن جملاً وكلمات عرفانية رفيعة أو نظّمن شعراً وكنَّ كثيرات ونشير إلى البعض منهن:

رابعة الشامية: وكما جاء في الدر المنثور لقد كانت زوجة أحمد ابن أبي الحواري، وفضيلة وكرامة هذه المرأة لم تكن قابلة للإنكار كان زوجها يقول عنها: عندما نفرش مائدة الطعام كانت رابعة تقول لي كلُ «فإنها ما نضجت إلا بالتسبيح».

وطبعاً لا تقصد أنها كانت تسبح أثناء الطبخ بل المقصود بأن هذا الطعام حصلوا عليه بالحمد والشكر لله رب العالمين.

وكان يقول عنها زوجها: إن لها حالات متنوعة كما أن أصحاب الرأي لهم أفكار متنوعة بسبب أن مقدمات متنوعة تظهر في أذهانهم وأصحاب القلوب أيضاً لهم إنجازات متنوعة لأن واردات متنوعة تظهر في قلوبهم.

أحياناً واردة الحب.

وأحياناً واردة الخوف.

وأحياناً واردة الأمل.

ويقولون كلاماً مناسباً لكل واردة، كان حب الله يرد عليها وتقول:

حبيبي غاب عن بصري وشخصي ولكن عن فؤادي ما يغيب

حبيبي هو الذي ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أما وقلبي بحبك متيم فهو مستور عن العين لأنه منزه عن أن تراه العين ولكن له محل في القلب.

وكانت أحياناً تعيش حالة أنس بالله وتنظم فيه شعراً وتقول:

فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وأحياناً تتغلب عليها حالة الخوف وتقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي فيك أين مخافتي؟

وهناك كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في الأدعية: آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد (نهج البلاغة).

رابعة بنت إسماعيل: يقول جوادي الآملي في كتاب جلال المرأة وجمالها، في شرح حياة هذه المرأة ورد أنها كانت تقول: (رأيت أهل

الجنة يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين يسترن بأكمامهن).
وكما أن الرجال يصلون أحياناً إلى محل يسترون أنفسهم عن الأئمة عليهم السلام كذلك بعض الملائكة يصلون أحياناً إلى محل يسترون أنفسهم عن أولياء الله من الرجال.

كما أن النساء يصلن أحياناً إلى محل تستتر الحور العين عنهن ولكن هل يختفين أم يصبحن تحت شعاع نورهن؟

فالنساء من أهل الجنة أعلى من الحور وهذا هو الموقع الواقعي للمرأة وإذا توهم شخص أن بعض القيود التنفيذية لا تسمح بأن تصل المرأة إلى هذه المواقع العميقة فهذا توهم باطل ورأينا النماذج سابقاً.

وهناك نماذج كثيرة عبر التاريخ ولكن بسبب أنهن لم يُذكرن بقين مجهولات.

وهذه قصة لامرأة عارفة كانت لها سابقة فنية حيث قيل إن مولاها أرسلها إلى المستشفى بسبب شدة الحيرة ولأنه رأى أنها كانت تقول شعراً رفيعاً بشأن المحبوب يحير العقلاء.

احتار الجميع من هو ذلك المحبوب ولم يفهم مولاها من أثر سوء الظن من هو محبوب هذه المرأة الذي تقول من أجله هذا الشعر وتبكي وتضج وعندما ذهب بعض العارفين في ذلك العصر للالتقاء بها فهموا أن هذه المرأة وصلت إلى مقام بحيث لا ترى إلا الله، ولم يكن في محيطها مع سيدها من تستطيع أن تحبه في الله، في النتيجة أخرجوها من المستشفى وفهموا أن طريق القلب لا يختص بالعارفين الرجال فالنساء إن لم يكنّ كالرجال في هذا الطريق فإنهن في نفس اتجاههم.

رابعة العدوية: اختلفت فيها كتب سير القدامى منهم من قال: إنها من أصل عربي وإنها مولاة لآل عتيك، ومنهم من قال: إنها من أصول فارسية أو مسيحية وإنها ولدت في العراق، لأن العراق في ذاك الوقت كان يضم جماهير متنوعة من الفرس والعرب والروم والزنوج، جمعهم الإسلام ومزج بينهم فأنساهم حمية النسب واتجه بهم إلى حمية الفكرة وعصبية الرسالة كما قال طه عبد الباقي سرور وعلى ضفاف تلك الحياة العجيبة الذاهبة بين اللهو والترف بما كانت تضم مئات الدور من دور العزف والغناء واللهو الناعم كما قال ياقوت في معجمه: فقد كانت الآف الأكواخ تعاني من الفقر الشديد وكان من بينها أشد فقراً كوخ صغير عرفه البصريون كوخ العابد، وقد بُشر صاحبها في رؤية صادقة بمولودة طاهرة وستكون سيدة جليلة وأن سبعين من أمة محمد سترجو شفاعتها. ومنهم من قال: إنه كان له صلات مع الحسن البصري ولكن التاريخ يؤكد أنها كانت في العاشرة من عمرها عندما توفي الحسن البصري.

وكما يقول العطار: إن أباها توفي وهي تدرج من الطفولة إلى الشباب ولحقت به أمها فذاقت رابعة مرارة اليتم الكامل أماً وأباً. ومرارة الحاجة القاسية فلم يكن لها أخ من الذكور ولم يترك أبواها مالاً وبذلك أطبق الشقاء على رابعة وحرمت من دفء الحنان ورقة العطف والحب الأبوي وهي تتفتح للحياة وتمشي إلى شبابها.

ثم أخذ البصرة جفاف وقحط وصلا إلى حد المجاعة فغادرت رابعة وأخواتها الكوخ وأخذن يضربن في الأرض يلتمسن القوت. وفرّق الدهر بين الشقيقات فغدت رابعة وحيدة فقيرة لا تجد قلباً يحنو

عليها ولا عاطفة تدفىء حياتها وصاحب القحط والجوع انتشار اللصوص وتجار الرقيق ووقعت اليتيمة الصغيرة فريسة في يد ذئب من هؤلاء الذئاب فباعها لتاجر بستة دراهم وكان التاجر فظاً غليظ القلب فقسا عليها وأرهقها من أمرها عسراً.

فكانت رابعة تتقلب بين أيدي العذاب وتنتقل من هوان إلى هوان ومن قسوة إلى قسوة لم تهنأ يوماً ولم تسعد لحظة.

وكان نهارها هماً ورهقاً فإذا جن الليل أطلقت كنوز قلبها وحماسة روحها وفق إيمانها، أغلقت قواها المدخرة في أعماقها من النفخة الأولى حينما هبت أنفاس الرحمن على التراب فانبعث بشراً سوياً، أطلقت ذلك السر الذي يربط العبد بالرب أطلقته ضراعة وهياماً وحنيناً وشوقاً فإذا اشتعلت أنفاسها بالدعاء والتسبيح هبط على قلبها السر الذي جعل نار إبراهيم برداً وسلاماً ونعيماً وأيماناً (ما أجمل ما كتبه طه سرور).

وكانت رابعة تناجي ربها وهي باكية قائلة: إلهي أنا يتيمة معذبة أرسف في قيود الرق وسوف أتحمل كل ألم وأصبر عليه إذا كنت أنت راضياً عني.

ويرسلها سيدها يوماً لقضاء حاجة له من السوق فأخذت تسعى في أزقة البصرة فلمحها رجل سوء فأعجبه شبابها وحياءها وفتنه ذهولها ومسحة الحزن التي تكلل وجهها بالنور فلاحقها بنظراته الجريئة فاضطربت وارتجفت فتعثرت وسقطت على الأرض فانكسر ذراعها وغشي عليها.

وكانت دائماً تلح على ربها بأن يخلصها من هذا الرق وتقول: إلهي أنت تعلم أن قلبي يتمنى طاعتك ونور عيني في خدمتك، ولو كان الأمر بيدي لما انقطعت لحظة عن مناجاتك ولكنك تركتني تحت رحمة هذا المخلوق القاسي من عبادك.

وجاء اليوم الذي أذن فيه ربها بأن يكون وقت رحيلها عن هذه الدار التي طالما رأت فيها العذاب والهوان وذلك عندما استيقظ سيدها عندما سمع صوت مناجاة حارة وأخذ يتتبع الصوت فرأى رابعة ساجدة تصلي وتدعو وخلال دعائها وصلاتها شاهد قنديلاً فوق رأسها يحلق وهو غير معلق بسلسلة وله ضياء يملأ البيت كله ولما رأى هذا النور العجيب فزع وظل ساهراً مفكراً حتى طلع النهار، هنا دعا رابعة وقال: أي رابعة وهبتك حريتك فإن شئت بقيت هنا ونحن جميعاً في خدمتك، وإن شئت رحلت أنى رغبت، فما كان منها إلا أن ودعته وارتحلت.

ارتحلت إلى رحاب الدنيا الواسعة ارتحلت من قيود الذل والرق إلى دنيا تجهلها وتجهل ما هو مصيرها ويقول العطار: بأنها احترفت العزف على الناي من أجل معيشتها ثم اعتزلت الناس بعد ذلك وابتنت لنفسها خلوة انقطعت فيها للعبادة.

وكما يقول طه سرور: من العجب أن الدكتور بدوي في كتابه عن رابعة شهيدة العشق الإلهي كذب العطار في ما رواه عن رابعة ورماه بجموح الخيال والإغراق الصوفي والكذب التاريخي إلى أن وصل إلى قوله عنها إنها احترفت العزف على الناي فقال: إن هذه الرواية صادقة وصادقة لأن رابعة كانت كما يقول باهرة الجمال ساحرة الفتنة ثم قال

بالحرف الواحد: ويحتمل كذلك أنها ابان هذه الحياة الغنيّة بما تقتضيه من ملابسات قد اندفعت في طريق الشهوات إلى مدى بعيد ويخيل إلينا أنها قطعت شوطاً طويلاً في طريق الإثم وغرقت في بحر الشهوات واقتاتت بقوة الحواس حتى الثمالة.

ويتابع سرور: يحتمل ويخيّل هذا هو كل ما يملك الدكتور من أدلة علمية وتاريخية ليقذف رابعة بكل هذه التهم ثم يبني على هذا الاحتمال وعلى هذا التخيل نظريته في رابعة والحب الإلهي وتحولها الروحي فيقول: فهذه الانقلابات الروحية الكبيرة إنما تقع دائماً نتيجة لعنف وإفراط ومبالغة الطرف الأول المنقلب عنه.

فعنف إيمان القديس بولس كان نتيجة لعنف إنكاره المسيحية. وعنف الحياة النقية لدى القديس أوغسطين كان لازماً طبيعياً لعنف الشهوات الحسية التي حيبها قبل تحوله إلى الإيمان. إن الاعتدال من شأن الضعفاء والتافهين أما التطرف فمن شيمة الممتازين الذين يبدعون ويخلقون التاريخ وما كان يمكن لرابعة أن تتطرف في إيمانها وحبها لله إلا إذا كانت قد تطرفت من قبل في فجورها وحبها للدنيا؟

يقول: من أعماق الشهوات العنيفة تنبثق الشرارة المقدسة للطهارة ومن أعماق الإنكار والتجديف تنطلق الموجة التي تنشر الإيمان في الدنيا بأسرها ولهذا أدعو إلى التطرف المطلق كل من يريد أن يكون خالقاً للقيم.

ثم يمشي مع نظريته فيقول: أوغلت رابعة إذن في طريق الشهوات الجامعة ما وسعها الإيغال.

وهذه هي الحقيقة العلمية التي تقوم عليها كتب الدراسات العلمية في منطق الدكتور المؤرخ.

والبعض يقول إن الحقيقة العلمية أنه لا يمكن لإنسان أن يكون مؤمناً حاراً قوياً في عقيدته إلا إذا كان ملحداً أو فاسقاً من قبل فالتطرف يولد من التطرف ولو طبقنا تلك النظرية الجليلة على التاريخ لكان الأولياء والقديسون والصالحون ورجال الإيمان والمثاليات ملاحدة فسقة اقتاتوا بقوت الحواس وعبّوا من الرذائل والموبقات حتى الثمالة.

ويقول سرور: أعتقد إنها نظرية لا تثبت للمنطق العلمي والواقع التاريخي والذوق...

أقول نعم إن الحقيقة العلمية والواقعية الثابتة تؤكد أن التطرف يولد من التطرف.

فمن كان متطرفاً في السابق في اللهو والملذات والزنى فإنه على الأغلب سيتطرف في التشديد على الحجاب وترك متاع الدنيا وإن كان حلالاً عندما يريد أن يشعر بأنه فعلاً قد وصل إلى قمة الورع والتقوى إلى أن يصل بأن يضيق على نفسه وأهله دون مبرر ويكون غير متوازنٍ في الأخذ والعطاء.

ومن كان متطرفاً في الإلحاد سابقاً فإنه سيتطرف يوماً في الإيمان إلى أن يصل إلى درجة الزندقة، ومن كان متطرفاً في السابق بالقسوة والخشونة مع الناس فإنه سيتطرف في الأحكام الإسلامية المتعلقة بالجهاد وإن كانت في سبيل الله إلى أن تصبح عنده أفضل من أي شيء

حتى العبادات من صلاة وصوم... وهناك المثل الرائع يقول: من شبَّ على شيء شاب عليه، وأحياناً يكون المشيب على الشيء الذي شبَّ عليه باسلوب تطرفي إذا دخل الإيمان إلى قلبه لأن العوامل الوراثية والحياتية التي تأصلت في نفس هذا الإنسان تبقى ولو في شذرات بسيطة تتعلق في نفوس الناس مهما بلغ من الإيمان والتقوى.

لذلك اختار سبحانه الأنبياء ممن كانت مسيرتهم منذ بداية حياتهم نورانية ولا تحمل ثغرة واحدة بما يتنافى مع حمل الرسالة الإلهية وكذلك عندما أكد على عصمة الخلفاء من بعده ما دامت البشرية في توالد وتحتاج إلى المبلغين والدعاة وحمَّال الرسالة الإلهية ولا يوجد أنبياء بعد خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ وللعالم مستجداته وتبعاته ويلزمنا دائماً الاجتهادات المستنبطة من القرآن والسنة المطهرة بما لا يتنافى مع الأصل لهذه الجذور الربانية ومما لا شك فيه أن ليس كل إنسان قادر على هذا إلا من رحم ربي والأفضل أو التأكيد أن يكون من المعصومين على الأقل بدرجة أدنى من عصمة الأنبياء.

ولهذا بعض المذاهب لا تسمح بأن يتولى أمر المسلمين من كان ابن زنى وإن لم يكن يوماً متطرفاً في سيرته وسلوكه لأن الوراثة البدنية والروحية لها دور مهم في تكوين شخصية الإنسان العادي فكيف الحال بالشخصية التي ستتحمل مشاق تبليغ الرسالة وكيفية العمل بها على مدار الأزمنة ولكافة الشعوب وهناك مثل عامي يقول: الدواء مثل منظفات الغسيل.

وإن عالجنا به المرض فإنه سيترك أثاراً للعلاج كما يفعل منظف

الغسيل بالثياب فإنه كل مرة يمحو طبقة من أصل الثوب المنظف وكلما تكون البقع المتسخة على الثوب أعمق ويكون التنظيف أقوى يكون الأخذ من أصل القماش أكثر وربما سبينا الاهتراء لهذا الثوب يوماً وإن كان مصنوعاً من أجود الأقمشة. فهكذا الحال بالنسبة للإنسان مهما كانت نوعيته من الأصالة والوراثة الطيبة و. . . إذا اتسخ يوماً من بداية نضجه وحتى قبل ذلك. وبقي يتلوث بقذارات عدة حتى يشتد عظمه وربما تقدمت به السنوات دون أن يلتفت إلى دينه وآخرته. فإنه عندما يصل يوماً إلى حقيقة الإيمان فإنه وإن تعالج بأقوى الأدوية. فإنها وإن كانت وسيلة للشفاء فلا بد أن تترك أثاراً من العلاج الشافي بإذن الله.

ولا نقول هذا كي نسبب اليأس للذين يريدون التوبة فنقول: إن الله تواب رحيم وربما يكون هذا الإنسان التائب أفضل من ألف عابد لم يظهر يوماً من حقيقة عبادته أنها غير متوجهة لله وحده وعند أي اختيار دنيوي - مادي - ملموس من أجل المال أو الجاه أو النساء الفاسقات فإنه ربما يسقط فوراً. . .

ولذلك يؤكد سبحانه بأن يتولى أمر الأمة الإسلامية أولياء معصومون من الله، ومنصوص عليهم من رسوله ومبلِّغ رسالته الأول. كي يكونوا قادرين على الحكم بالعدل الإلهي بين جميع البشر وهذا يحتاج إلى خصوصية خاصة جداً وخاصة مع اتساع العالم الكبير الآن. وربما الله سبحانه وتعالى غيَّب عنا خلفاءه المعصومين لأننا لم ندرك هذه الحقيقة فتحولت ولاية أمور المسلمين من خلال اختيارات بشرية وليس بنصوص إلهية. وكذلك غيَّب عنا هؤلاء الخلفاء المعصومين

وخاصة في أيامنا هذه، لأنه كذلك من تكلم بالخلافة المعصومة ولكن الظاهر لم يعمل بها لحد الآن أحد إلا ما ندر ولكنه غير مستبان أو واضح لأعين الناس أو ربما يحاربونه محاربة شديدة لأنه بدأ يضع الخطوات الأولى لإقامة دولة الحق بقيادة المخلِّص الأكبر المعصوم مهما كانت تسميته وإن قال الشيعة والسنة من المسلمين إنه المهدي المنتظر. وإن قال المسيحيون إنه يسوع المسيح، المهم هناك قائد معصوم ليقود البشر إلى الخلاص والعدالة الإلهية.

اللهم اهدنا الصراط المستقيم وارزقنا العمل الصالح.

* * *

○ الإنحسار الإسلامي:

قال جودت سعيد في كتابه «فقدان التوازن الإجتماعي» لو فهم ما يتطلبه اللباس الإسلامي من الثقافة أو الروح التي تعطي المبرر والمسوّغ له لساعد هذا الفهم على حل كثير من المشكلات ولكنَّ الانفصام الاجتماعي الذي يعانيه المسلم هو الذي يفقده توازنه في هذا الموضوع فلا يتمكن من أن يكيِّف ضغط الواقع مع مقتضيات المبدأ إلا بشيء من التلفيق مما سبب للكثير من الرعيل الأول من دعاة الفكر الإسلامي إلى الانحسار وأنواع الانحسار تختلف من شكل إلى آخر المهم إنحسروا.

فالإنسحاب من العمل الإسلامي وكما يقول إذا أردنا شرحه كما يفعلون في البحوث النفسية الاجتماعية نقول:

إن الإنسان الذي فقد مسوِّغ عيشه في المجتمع يترك المجتمع كما يترك أي إنسان الوظيفة التي لم يعد لديه مسوِّغ للتعلق بها ولهذا التصرف أمثلة كثيرة متفاوتة في الوضوح والغموض إلا أن الانسحاب من المجتمع يأخذ صوراً شتى.

ففي بعض الأحيان يأخذ الانسحاب صورة الانتحار كأن يلقي الإنسان بنفسه من جبل أو في نهر فهذه الحالة معناها أن الإنسان الذي فعل هذا شعر بأنه أنهى دوره في المجتمع ولم يعد لوجوده مبرر لذلك أنهى حياته بشكل ما وانسحب من المجتمع على هذه الصورة إن شعوره بأن الناس يرونه في وضع معيب أو مليء باليأس هو الذي يورِّطه وإنه لو اقتنع بأن موقف الناس منه ليس بهذا وإنه قادر على محو ماضيه فإنه لن ينتحر.

ولكن بعض المنسحبين الذين أنهوا دورهم لا يفعلون هكذا ولا يتصرفون التصرف نفسه وإن كان الدافع واحداً في الحالين (وهو الشعور بأنه لم يعد له مبرر ولا مهمة لوجوده في هذا المجتمع).

فهذا النوع الثاني لا ينهي حياته الاجتماعية انتحاراً بالسكين ولكن يعتزل المجتمع ويفرّ من أداء الواجب لأنه لم يبق له مبرر وهذا الذي قيل فيه فهناك من ينتحر بالسيف وهناك من ينتحر بالسبحة.

كما أن هناك انتحاراً آخر يحصل عند البعض حيث يتركون دينهم ويتبعون الأهواء والشهوات وهذا الانتحار غير صامت بل له ضجيج وصاحبه منسحب من مجتمع إلى مجتمع آخر فهو لم يعد يخدم

المجتمع الذي نشأ فيه وأنشأه وكان هو ثمرة من ثمراته بل يخدم مجتمعاً آخر ليس له أي فضل عليه.

وبالرغم من اختلاف هذه الأشكال إلا أن النتيجة واحدة وهي أن مجتمعاً معيناً قد خسر فرداً من أتباعه وأن الدافع إلى الإنسحاب واحد أيضاً في عنوانه العام هو: عدم بقاء مبرر للوجود في هذا المجتمع الخاص. كما يبدو لهم فهم يبحثون عن مكان آخر غير هذا المكان والطرق إليه كثيرة فهذا ذهب إلى قبره، وذاك ذهب إلى صومعته أو كهفه، والثالث ذهب إلى مكان يليق به أيضاً.

وقد يختلف هؤلاء أخلاقياً بالنسبة لمبدأ معين ولكن النتيجة الاجتماعية واحدة، فمن الناحية الأخلاقية يقال للأول منتحر.

والثاني زاهد معتزل.

والثالث متهتك أو تقدمي حسب الذوق الأخلاقي للمتحدث.

والإسلام كما يقول الإمام العارف هو عند الله وثيق الأركان - رفيع البنيان - مُنير البرهان - مضيء النيران - عزيز السلطان ومشرق المنار - معوز المثار - فشرفوه واتبعوه وأدوا إليه حقه وضعوه مواضعه.

وقد قال: لأنسبنَّ الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي.

الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء والأداء هو العمل الصالح.

والسؤال هنا: هل كانت رابعة ممن اعتزلوا الدنيا والناس لتعيش

في صومعتها وحيدة بائسة واختارت الانتحار بالسبحة والمناجاة ليلاً ونهاراً لله لأنها لم تعد ترى أحداً إلا الله.

فهل هي وصلت إلى هذه المرحلة أكثر من الرسول نفسه والنساء الطاهرات مثل المعصومة فاطمة الزهراء، والكاملة خديجة أول صحابية في الإسلام وكانتا من السيدات العارفات، وبأنهم لم يكونوا يرون الله حين تزوجوا وكانوا أصحاب رسالة - وعائلة - وعمل صالح في الحياة.

أم أن رابعة اعتزلت الناس أو بعضاً من الناس أو الناس الذين كانوا حولها في ذاك الوقت وكانت تعيش مع واحدة منهم وهي مساعدتها في أمورها اليومية بل وكان بيتها مفتوحاً لطلبة العلم والتصوف الحقيقي في الإسلام، وكانت رابعة كما يقولون من المؤسسين لمدرسة الحب الإلهي مشياً على خطى العارفات الأوائل من أهل بيت النبوة والصحابيات الجليلات. بل كانت ترى هذا الحب هو المصدر الحقيقي الذي استمدت منه الموجودات وجودها، وهو بذلك حقيقة روحية كونية سارية في كل ذرات الحياة.

بل إن رابعة وكما يقول طه سرور ترى الحب مصدر كل شيء لأنه روح الكون الذي خلق بالمحبة وقام بها وهل يخلق الله جل جلاله إلا ما يحب..

وكما يقول محيي الدين بن عربي وهو من أشهر العارفين: إننا حينما نحب الجمال والكمال في شيء صورهما، فإننا في الحقيقة

نحب الله جل جلاله فكل سحر في الكون وكل جمال في الحياة ليس إلا مظاهر متعددة لحقيقة جمال واحد هو الجمال والكمال الإلهي المطلق.

ويقول الدكتور زكريا إبراهيم في كتابه مشكلة الحب.

لماذا يصر الفلاسفة منذ البداية على أن الحب مشكلة ألا يحتمل أن يكون الحب هوالحل الوحيد لمشكلة الوجود البشري. ألم يقل الشاعر الألماني الكبير شيلر بعد حياة طويلة مليئة بالبلايا والآلام والمحن..

لقد استمتعت بما في العالم من سعادة فقد عشت وأحببت.

وقال الكاتب: إن ماهية الحب إنما تنحصر أولاً وقبل كل شيء في عملية العطاء المتبادل التي بمقتضاها يهب كل منا ذاته للآخر، فالمحب إنما يمنح ذاته للمحبوب والمحبوب بدوره إنما يضع نفسه تحت تصرف المحب وليس في هذه المنحة المتبادلة أي حساب نفعي أو أية رغبة مغرضة أو أي سعي نحو التملك وعلى الرغم من أن كلاً من الطرفين العاشقين يجد لذة كبرى في تقديم هذه المنحة للآخر. إلا أن الأصل في العطية أنها تستلزم شيئاً من الحرمان والإيثار والتضحية.

والواقع أن للحب قيمة كبرى في حياة المرأة (ألم يقل رسول الله إن كلمة أحبك من الزوج إلى زوجته لا تذهب من قلبها أبداً). فلأن المرأة تشعر بأن كل ما في وجودها هبة لا بد من أن تقدم للرجل وكأن وجودها لذاتها هو نفسه وجودها من أجل الغير. فالحب عندها إنما هو بذل تام للجسم والنفس معاً دون تحفظ ودون النظر إلى أي اعتبار

آخر كائناً ما كان وهذه الطبيعة اللامشروطة التي يتميز بها حب المرأة وهي التي تجعل من هذا الحب ضرباً من الإيمان.

فليس الحب في شتى أشكاله مجرد متعة جنسية أو مجرد رغبة في إنجاب النسل بل هو أولاً وبالذات خروج من عزلتنا الأليمة وتحطيم لقوقعة الذاتية وانتصار على الأنانية وهذا هو السبب في تلك القشعريرة المقدسة التي تستولي على قلب الإنسان حين يلتقي لأول مرة بتلك الذات المجهولة التي سوف تنتزعه من براثن أنانيته.

ويتابع الكاتب ويقول إن أدعياء العمق سوف يقولون إن الحب ليس إلا أنانية مقنعة (وسبحان الله هنالك قول: «لا تتعمق في الدين حتى لا تصيبك الزندقة») وكم هو الإسلام سهل يسير وسطي في كل شيء.

ويقول الكاتب لهؤلاء الأدعياء حسبنا أن ننظر إلى ما قد ينطوي عليه الحب من تضحية وإيثار وبذل للذات لكي نتحقق من أنه لا يمكن أن يكون مجرد أنانية ولا نرى أنها في حاجة إلى القول بأن العاطفة الصادقة التي نشعر بها نحو شخص آخر تنطوي دائماً على درجة من الإشباع أكبر بكثير من كل ما تنطوي عليه الأنانية التي تتعجل طلب اللذة من ذات نفسها، فإن الحب يتجه بطبيعته نحو الآخر وينشد دائماً كائناً مغايراً لأن هذا التغاير نفسه هو الشرط الأساسي لقيام تلك العلاقة الشخصية الثنائية (علاقة الحب أو التبادل النفسي). والحب ليس عاطفة ترتبط بالأنا، وإنما هو علاقة حيّة توجد بين الأنا والأنت وحينما تتسع دائرة هذه العلاقة بحيث يستحيل الحب إلى إشعاع كوني

فهنالك يرى المحب جميع الناس أخياراً كانوا أم أشراراً جميلين كانوا أم دميمين، بأنهم موجودات حقيقية أو ذوات، بمعنى الكلمة أو شخصيات حية، وإن المرء لا يحب بمعنى الكلمة إلا عندما يحدث ضرب من التماس بين حريته وحرية الآخر فلا تلبث حريته الخاصة أن تنطلق من أسارها.

ولذلك فإن الحب هو قيمة القيم فهو القيمة الوحيدة التي تقوم بذاتها.

وكما يقول وليام هازليت إن الكائن العميق لهو في حاجة دائماً إلى أن يصدق ويحب حتى يظهر ويتجلى والحب هو الذي يكتشف بذور الخير والجمال في كل مخلوق حتى في أشد الوجوه صلابة.

وكما أن الحب هو الذي يطهر معدن النفس ويصهر القلوب ويصقل النفوس لأنه كالنار.

وكما يقول إبن حزم في رسالته إن المحبة لا تقوم مطلقاً بين متنافرين أو متضادين لأن الشكل يستدعي دائماً شكله والمثل إلى مثله ساكن فأنت لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة واتفاق في الصفات الطبيعية بدرجة تختلف شدة وضعفاً وكلما كثرت عناصر المشاكلة بينهما زادت المجانسة وتأكدت روح المودة، وقد قال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها اختلف».

ونعود إلى سيدتنا الجليلة رابعة العدوية التي استشعرت كل هذا

الحب إلى أن سميت بشهيدة العشق الإلهي، وكان مشعاً على قلبها وروحها إلى أن عزفت لحناً صوفياً كلحن الحياة والطبيعة. فقد كان الناي أداة من أدوات العزف في ساحات الأذكار وحلقات المتصوفين وتنفست في هذا الناي نفساً إيمانياً مع الضارعين إلى الله الهاتفين في محاريبه لأنها وجدت فيه شيئاً تبثه حرارة قلبها وقوة إيمانها.

وفي أغلب الأحيان يكون بداية لمشاعر العاشقين في الله إلى أن يحين الوقت وتعيش هذه الحرارة الإيمانية مع الطرف الآخر من وجودنا كإنسان مفتقر في ذاته وحقيقة الكون كله يتمثل في الزوجية.

وقال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] ولخص علماء الكون بأنه مبني على خمس كلمات التي جاء بها القرآن الكريم، حتى الذرة وبعد أن قال دالتون بأن الذرة أصغر شيء في المادة وغير قابلة للإنقسام ويأتي روزفلت ويؤكد عكس ذلك وشرحها علمياً بأنها تتزاوج في مكوناتها. فالكل محتاج إلى الآخر وفقط الأُحادية لله الواحد القهار. يعني أن الله هو وحده هو الغني بذاته...

ومن يشعر بنفسه أنه غني عن زوجة فإنه بهذا ينسب لنفسه الأُحادية والعياذ بالله.

فلهذا ليس من المعقول أن هذه السيدة الجليلة التي تبتلت إلى الله كتبتل فاطمة الزهراء (البتول). ووصلت إلى هذا المقام الرفيع من الحب والعشق الإلهي، بأن تشعر في نفسها بالأُحادية، لأنه يعكس تماماً ما هي عليه من العرفان والزهد.

فلذلك علينا أن نرجع إلى هذا الجانب من هذه المرأة المتبتلة وما هي الأسباب التي جعلتها بأن لا تشارك حياتها العرفانية مع رجل بعد أن وصلت إلى كل هذا العلم.

فقد كانت تقول أنا لا أحرِّم الزواج فهو سنة الإسلام وشريعة الحياة... ولكن لننظر من تقدم لخطبتها وكما جاء في كتاب طه سرور (رابعة العدوية) قال: خطبها عبد الواحد بن زيد مع علو شأنه فهجرته أياماً حتى شفع له إليها إخوانه فلما دخل عليها قالت له: يا شهواني أطلب شهوانية مثلك.

وهي كانت تكره وتحتقر الشهوانيين لأنه الظاهر طلبها لشهوته لما كانت تتمتع به من جمال ظاهر، وهي تريد أن يطلب الباطن في روحها.. بل وكانت ترتعب منهم عندما صادفها هذا الرجل في السوق ونظر إليها بشهوة وفرت هاربة.

والظاهر أن سيدها الذي كان يملكها كان شهوانياً وتربيتها الصالحة في بيت والدها العابد صاحب الأخلاق الكريمة، كانت لا تتقبل مثل هذه الحياة التي طالما ناشدت الله سبحانه وتعالى بأن يخلصها منها لأنها ترى في نفسها بأنها مجبرة عليها في ظل القيود والأسر واختارت التحرر عندما خيرها أخيراً مع العلم أنها كانت تجهل مصيرها تماماً وكم هو من الصعوبة أن تنطلق المرأة إلى الدنيا بغير معين... وعرفت تماماً أن معينها الوحيد هو الله سبحانه.

وأما الخاطب الثاني وكما روى المناوي قال: كتب إليها محمد ابن سليمان الهاشمي وكانت غلة ملكه كل يوم ثمانين ألف درهم. «أما

بعد فإن الله ملكني كل يوم ثمانين ألف درهم وأنا أصيرها ومثلها إليك فأجيبيني إلى ما سألت.

وعندما شعرت بأنه يتقدم إليها بماله ودنياه وهي تريد الإيمان والتقوى والورع، كتبت إليه:

أما بعد.. فإن الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فهيّئ أمرك وقدّم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تركتك.

وأما أنا فلو خولني الله أمثال ما خولك وأضعافه ما سرني، وما اشتغل عن ذكر الله طرفة عين.. والسلام.

وكيف لا تقدم على زوج ذاتها كإنسانة مفتقرة إلى الآخر ولن يكمل الإنسان إلا بزوجة كما خلقه سبحانه، وكيف لا تشعر بالحب نحو إنسان وكما يقول ابن حزم: إن المثل إلى مثله ساكن.

وقال رسول الله ﷺ: إن الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

وهي التي جعلت التقوى وحب الله طريقاً للتفاهم بين الإنسان وما يجاوره... ولأنها كانت استاذة في علم النفس قالت لسفيان الثوري يوماً عندما دخل عليها وقال: اللهم إني أسألك السلامة. فبكت رابعة فقال لها: ما يبكيك. قالت: أنت عرضتني للبكاء، فقال لها: وكيف، قالت: أما علمت أن السلامة ترك ما فيها فكيف وأنت متلطخ بها.

وليس معنى هذا أن سفياناً وهو من أعلام التابعين كان مفتوناً بالدنيا وإنما نشدت رابعة له الكمال تمشياً مع مقامه.

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق من الشعرة في أعينكم وإن كنا لنعدها على زمن رسول الله ﷺ من الموبقات. ودخل على رابعة رياح القيسي وصالح بن عبد الجليل وكلاب، فتذاكروا الدنيا فأقبلوا يذمونها فقالت رابعة: إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم قالوا: ومن أين توهمت علينا، قالت: إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه.

لأنها كانت تلميذة الإمام العارف تلميذ رسول الله وباب مدينة علمه كله وابتداءً بمعرفة الله ثم مخلوقاته ثم كونه كله. فهي كانت تقول: إلهي لا أحبك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك وإنما حباً لك وقصداً للقاء وجهك.

ونظمت الشعر في ذلك:

أحبك حبين حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك لي الحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك

وها هي مدرسة الإمام العارف تقول، إن العبادة ثلاثة:

عبادة التجار - وهو طمعاً في الجنة

وعبادة العبيد - وهوالخوف من النار.

وعبادة الأحرار - وهو العبادة لذات الله.

ولأنها كانت تخاف أن تشتغل بأي شيء يبعدها عن ذكر ربها في

أي صورة كانت، ولأنها كانت تخاف أن يتغير طبعها إذا كانت مع زوج لا تشعر أنه مع الله ويرى الله في كل لحظة من حياته كما شعرت هي، وكما يقول ابن القيم في كتاب الجواب الكافي ص١٠٠ عن شيخه أنه كان يقول: إني لأعصي الله فأعرف ذلك من خلق امرأتي.

ولهذا كانت رابعة بعرفانها، وتقواها، ودينها، وتبتلها إلى الله كتبتل (البتول الزهراء) كقدوة عملية كانت تحتاج إلى زوج لنفسها المفتقرة بذات وجودها إلى الآخر. إلى نبي أو وصي إلى إنسانٍ كعلي عليه السلام، أو من يكون في مقامه من الخلفاء المعصومين ولا شك لو أن صيتها كان ذائعاً في عصر نبي معصوم أو إمام معصوم - ولا نبي بعد سيدنا محمد - لما تردد لحظة في اختيارها زوجة له وإن كانت جارية أو شديدة الفقر، فقد كانت معظم أمهات المعصومين من أهل بيت النبوة من الجواري وإنما كان الاختيار يقع على صفاتهنَّ الإيمانية والروحانية.

ولا نستطيع أن نقول إلا رحمك الله أيها السيدة المتبتلة إلى الله، ورضي عنك سبحانه وعوضك زوجاً صالحاً مؤمناً تقياً عارفاً وربما يكون نبياً من الأنبياء أو إماماً معصوماً في جنانه الواسعة. لأنك لم تجدي الكفؤ لك في هذه الدنيا كما وجدت السيدة الزهراء الإمام علياً عليه السلام كفؤاً لها.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله زوجوا الأكفاء للأكفاء.

والحمد لله رب العالمين وسبحان الله عما يصفون.

هوليود السينما الأمريكية

هوليود كما يقول الكاتب محمد شيخ ديب في كتابه الفن السابع هذه المدينة التي تعتبر مرتع الجمال ومدينة العباقرة هوليود سماء ثانية رصعت بالنجوم اللألاءة والكواكب الراقصة فرقصة السمبا تكتنفها فتشبعها نشاطاً وحبوراً وتحل عليها رقصة التانجو الحزينة الهادئة فتثير في جوها عبير الغموض والرهبة. وهوليود ليست كما يظن عارفيها مدينة كبيرة ضخمة ولكنها ضاحية غير أنهم بنوا لها الشهرة فأصبحت مدينة معتبرة يؤمها الناس من جميع أقطار العالم على اختلاف أجناسهم.

ويرجع تاريخ بنائها إلى رجل أمريكي بسيط فرَّ من حياة أمريكا الشرقية الصاخبة إلى الغرب حيث استقر في بقعة قرب لوس انجلوس مكتظة بالغابات تحيط بها المياه والجبال والصحارى فأعجب بهدوئها ومناظرها الخلابة وبنى أول بيت فيها وبذلك تشجع الناس على السكن فيها وصاروا يؤمونها للاستجمام والترفيه عن النفس حتى غدت مركزاً للسينمائيين في هذا العصر.

ويظن الكثيرون أن سكان هوليود مبالون للسينما وفي الحقيقة يكرهون هذه الصناعة كثيراً والدليل على ذلك أن أشهر العاملين فيها من الأجانب الذين جاؤوا إليها من بلاد العالم.

واعتاد بعض الناس أن يضربوا مثل الحياة السعيدة بحياة النجوم

ولكن هذا المثل في الواقع خاطئ جداً فليس هناك أتعس من حياة الفنانين فهم يقضون أوقاتهم في الاستديوهات وكثيراً ما تحظر عليهم الشركات الخروج من منازلهم تحقيقاً لخطة مرسومة لنجاح الفيلم أو الشركة. أي أن حياتهم ملك لغيرهم وهذا أصعب أنواع قيود الحرية.

ودلت الإحصاءات أن هوليود تجني من وراء أفلامها مليارات الدولارات وفي البداية كان يأتي ثلثها من أمريكا نفسها ثم من بقية العالم عندما انتشر الفكر الهوليودي إلى العالم كله.

• • •

○ بدايات السينما:

ففي البدايات الأولى للسينما كانت الأفلام تهدف إلى الارتقاء بمستوى المادة السينمائية شكلاً ومضموناً بحيث تكرس الأصالة الفنية والمضمون الفكري في الفيلم وتؤكد على ارتباطه بتنمية التذوق الفني والجمالي لدى المتلقي وتدعيم صيغ التواصل الاجتماعي كون السينما أحد أهم وسائل الاتصال.

وعرفنا في السينما فناً رفيعاً وثقافة وعلماً وتقنية مذهلة وإبداعاً يجمع بين هذه العناصر بشكل يسمو بالإنسان إلى طبيعته المثالية في الرقي والامتاع والتجلي، لأن هناك من كان يسعى باتجاه الوصول بالتذوق الجمالي السينمائي إلى أرقى صورة، وعندما يكون اتجاه المجتمع أو اتجاه العصر هو اتجاه ثقافي فإن التذوق الجمالي سيكون له طابعه الخاص وعندما يكون الاتجاه استهلاكياً فإن التذوق سوف يرتبط بهذه الاستهلاكية ويتابع حسين الإبراهيم في كتابه (الولادة

والخيارات المتناقضة) بأننا نرى جمهور الاتجاه الثقافي أو الفني يعقد تأثيره عند سيطرة التوجه الاستهلاكي.

فالجمهور الإيطالي: مثلاً الذي ينتمي لأصول ثقافية مغرقة في القدم لم يتنازل عن هذه الأصول بسهولة وبقي يواجه الثقافة الاستهلاكيةِ حتى أواسط السبعينيات.

الجمهور الأمريكي: أما الجمهور الأمريكي الذي لا ينتمي لأية ثقافة ولا تجمعه أي أصول ثقافية فقد كان سهلاً عليه أن يعيش ثقافة اللانتماء أو الثقافة الاستهلاكية السطحية.

• • •

○ شعار هوليود:

كان عظماء السينما موجودين في إيطاليا وأن التذوق الجمالي الفني الرفيع الذي كونته السينما الإيطالية في النفوس استطاع مواجهة سينما هوليود بقوة إلى أن غزت النمطية الأميركية الاستهلاكية والتي جعلت من التذوق الجمالي تابعاً لنمطية الحياة الإستهلاكية فقد رفعت هوليود شعاراً خطيراً من المراحل الأولى لتأسيسها بأنها

تريد أن تقدم للجمهور ما تريد تقديمه

وترفض وصاية الجمهور عليها فهي ليست بحاجة إلى جمهور لأنها تصنعه بنفسها.

وهذا الشعار أخذ طريقه إلى التطبيق بسرعة كبيرة وأصبح لهوليود جمهورها الذي آمن بعظمتها وبأنها الفن السينمائي بحد ذاته وأصبحت

الأفلام برأي الكثيرين تقاس بمدى قربها أو بعدها من هوليود حتى أولئك الذين خرجوا عن دائرة هوليود وراحوا يتبعون أساليبها ومفاهيمها مقياساً في تحديد أسلوب العمل والفكرة المطروحة وفرضت هوليود إنتاجها على الموزعين ووصلت في ذلك إلى مستوى تحديد مصير الموزع إذا لم يخضع لشروطها في التعامل.

* * *

○ الإتجاه العملي لهوليود امريكا:

كان هذا الاتجاه الذي اعتمد الصيغة العملية المباشرة في التخاطب عبر إثارة الغرائز ومحاكاة العواطف بما يعني وضع العقل في خدمة الحركة والفعل وانتقاله من موقع القيادة إلى موقع الانقياد كي تسهل السيطرة عليه في أي وقت.

وسعى عدد من المخرجين باتجاه صنع بطل جماهيري يستمر في سلسلة من الأفلام ويجسد في تصرفاته صفات حقيقية لأناس حقيقيين ويرسم شكل بطل شجاع مغامر لدرجة الخيال ينتصر على كل من يعترض طريقه ويواجه أقسى التحديات ويعالج الأحداث المعقدة بروح فروسية وبتضحية بالذات منقطعة النظير ويكون المثال (كجيمس بوند) شخص ذكي وخبيث قادر على تحديد الجريمة وتجريد المجرمين من أسلحتهم لكنه بلا روح وعقله ليس كعقل الإنسان العادي فنكتشف الأعمال اللاأخلاقية والقسوة والوصولية في كل تصرفاته.

* * *

○ النماذج الشخصية:

فكان الإنسان العادي الذي لا يجد في الواقع بطلاً يحقق التطلعات والطموحات بأن ينتقل إلى السينما إلى الخيال ليعلن حبه وولاءه لشخصية سينمائية.

وبهذا تتوالى الشخصيات الهوليودية بنماذج مختلفة من العنف واللاأخلاق ويجسدون شخصيات قاتلة مجرمة ومدمنة على المخدرات ومخططة لعدد من الجرائم التي يندى لها الجبين ويحولونها إلى إله ويتحدثون عن أعمالها وجرائمها بكل إحترام وتقدير ويتحدثون عن تعاطي المخدرات وممارسة الشذوذ الجنسي والقتل الجماعي كما لو كانت حياة رغيدة مسالمة.

* * *

○ وقاحة السينمائيين الهوليوديين:

يقول أحد السينمائيين لقد أحرزنا تقدماً رائعاً في نضالنا البطولي والنبيل ضد الرقابة السينمائية في العالم كله من أجل حرية الفن ويتابع إن النضال من أجل حرية الأفلام الجنسية يعتبر من أجل الحرية.

وهناك من هو أقل وقاحة فيقول هذا السينمائي الهوليودي الآخر لا يخجل الناس في وقتنا هذا من الوقوف في الدور من أجل شراء أو استئجار أفلام جنسية مع أنها تافهة وتفاهة الأفلام الجنسية أمر غير مهم.

المهم أنهم يشترونها

وهذا هو المطلوب بالنسبة لي.

وهكذا اتجهت هذه الأفلام نحو مساواة الإنسان بالحيوان

وتجاوزت السينما الحواجز الأخلاقية للإنسان وحولته إلى كائن لا يزيد عن كونه مجموعة غرائز مجردة من (الجمال الروحي).

* * *

○ أفلام الرعب:

وكانت أفلام الرعب لها النصيب الأكبر من الصناعة الهوليودية التي كلفت الملايين وربحت أضعاف التكاليف وكانت مهمتها تضعيف قدرات الإنسان بالدفاع عن نفسه واقناعه بعدم استقلاليته الدنيوية.

* * *

○ منع الأفلام التوعوية:

والأفلام التي تعالج مسألة الهروب من المجتمع ومن الذات بأنه لا يشكل حلاً لأية مشكلة وأن الإنسان الذي يرى في الهروب خلاصاً يكون قد ارتكب أكبر الجرائم بحق نفسه حتى لو تكلل بنوايا طيبة كانت تُمنع من العرض في بلاد كثيرة إلا في أطر ضيقة جداً وهذا يؤكد خطورتها من جهة وأهميتها من جهة أخرى لأنها تشكل مدرسة فنية فكرية بكل معنى الكلمة.

* * *

○ التقنين الهوليودي للتفاعل السينمائي:

لأن السينما أصبحت تشكل تفاعلاً بين الأدب وسمات العصر الحديث تفاعلاً جمالياً ولغة إتصال جديدة تنتقل بالمشاهد إلى موقع التفكير والتفاعل مع الأفكار المطروحة وأصبحت تقريباً تنفرد بهذه الخصوصية من

لغة التخاطب مع كل حواسنا وحتى الجانب اللاإرادي فيها.

ولهذا سعت بكل قوة لتنفيذ سياسات معينة ونقل أفكار خاصة عبر تحييد المتلقي عن قضايا الصراع أو إبعاده عنها واستمالته وتسخيره لغرض محدد وكما يقول (أريك جونستون) رئيس اتحاد السينمائيين في أمريكا: من مهمات السينما الهوليودية أنها أفلام تدعو إلى الهروب وأن أملنا الدائم هو أن تتضافر أفلامنا لتنقل إلى أعين الآخرين صورة تجعل من أمريكا مجتمعاً خيالياً متألقاً...

وبهذا أصبح على المتلقي المعاصر أن يرى فيلماً يبهره تصويره ولا يدفعه إلى التفكير (وخاصة التفكير العميق)، ويبعده عن الرمزية وخاصة الرمزية المركبة التي يفهم فيها الجزء من خلال الكل ويقدم له بعض الصور المثيرة والنجومية.

* * *

○ تسييس السينما الهوليودية:

كان الفيلم السينمائي هو فيلم سياسي سواء رغب منتجوه أو لم يرغبوا وسواء أدركوا ذلك أم لم يدركوا فعبر قراءة صفحة واحدة من المشاهد ندرك التواجد السياسي في الفيلم بالحذف أو بالإسقاط أو بالإشارة أو التلميح وبعضها بالإغفال كما يقول (المخرج كارلوس ساورا).

وطالما أن السينما لا يمكن أن تنفصل عن السياسة والمواقف الأيديولوجية فإننا ندرك أنه لا توجد سينما من أجل السينما ولا توجد شركات سينمائية مستقلة فهي إما مرتبطة مع قضايا المتلقي فتسعى إلى تطويره وإما مرتبطة مع أعدائه فتسعى إلى تحطيمه.

○ الصهيونية السينمائية:

كان للأسف الشديد وما زال حظنا الأوفر من السينما أو بالأحرى من السياسة السينمائية أن قدمت الصهيونية العالمية حركة استيطانية أو كما يقولون استعمارية (وهي التخريب بذاته). وقدمت لنا هذه الحركة الاستكبارية والطاغوتية بأنه واقع لا نستطيع الهروب منه بل علينا التفاعل معه وليس فقط من الجانب السياسي بل ومن النواحي الاجتماعية وكيفية بناء مجتمعاتنا بالأسلوب الصهيوني أو من منظار الفكر الصهيوني الذي يسعى إلى بث السموم بالأفكار التخريبية والهدف واحد هو الهروب ثم الهروب وإن كان متمثلاً بهروب إيجابي في الظاهر من الإفراط في العبادات والشعارات الدينية وتحت أسماء روحانيات إسلامية لم ندخل إلى أعماق مفهومها العبادي والتوحيدي الحق لتشل حركتنا التفاعلية مع المجتمع والعطاءات البناءة من أجل مجتمع فاضل بكل جوانبه الاقتصادية، السياسية، العلمية والأخلاقية.

وإما بالهروب السلبي المتمثل بالتفريط في قداسة الإنسان وسموه وارتقائه المعنوي فيصبح كآلة لحمية تتحرك بأزرار المنافع والمصالح والراحة الآنية وإن كان على حساب خراب كل من حولنا على المدى البعيد.

❁ ■ ✦

○ تكنولوجيا الأسياد:

والسؤال كيف بدأت هذه المسالك الهروبية تستفحل في مجتمعاتنا الإسلامية بل وبدأنا نصدرها إلى عالم الغرب في بعض المواقع الفكرية

الدينية ظانين أننا في قمة الروحانيات من جهة ونكون في الجهة الأخرى في قمة الاستسلام للاستهلاك الفكري والسلوكي لعولمة العالم الحديث أو العصر الحديث تحت أطر مزخرفة من التقدم التكنولوجي المدمِّر لأن هذه الأطر حيكت بأصابع الاستكبار والغرور والجبروت والظلم العام من أجل ما يسمى (العدل) الخاص لأناس محدودين أو لشعب محدود وإن كان على حساب التدمير الشامل للبشر أجمع.

* * *

○ تكنولوجيا العبيد:

عندما يأتي الإطار التكنولوجي الصحيح المزيِّن لصورة حقيقية لأعماق النفس البشرية المعطاءة من أجل الحرية والحقوق البناءة لكل الناس ومن أجل كرامة الإنسان كما أمرنا الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام وآله.

تبدأ المعارضات المسخرة لهؤلاء الطاغوتيين الذين يصرون أن يحكموا العالم تحت عناوين الحرية والعدل ويكون السلوك التطبيقي على شعوب غيرهم على مبدأ أسياد وعبيد. وأحرار وأسارى ولكن لمن ومن أجل من..؟ النتيجة تكون في مصلحة أصحاب العيون الزرقاء والأعلام الزرقاء التي في معظمها تعبير عن أصحاب الدماء الزرقاء أو السوداء التي طالما تلوثت بدماء الأبرياء أصحاب الحقوق في هذه الأرض أرض الله، الذي جعلها سبحانه للبشر أجمعين بأن لا يطغى أحد على أحد.

ويصر الطاغوتيون بأن يستحوذوا لأنفسهم كل خيرات الأرض

حتى التخمة ويكون القليل القليل منهم المستفيد، والفائض الكثير من خيرات الله يرمى في البحر من شدة الطاغوت في الاستحواذ الفردي. وهذا البحر بحر الله من شدة حزنه بعد أن تُرمى هذه الكميات الهائلة من الخيرات التي تكفي ملايين البشر وتشبع الجميع فإنه يفيض ويهتاج ويتعالى إلى أن يصل مداه إلى الأخضر واليابس ويكون التدمير الهائل للطغاة ومن سكت عنهم ولهم.

● ● ●

○ هوليود النجوم:

وأما الوجه الظاهر لهوليود السينما الأمريكية فإنها تتمثل بكثرة النجوم الموجودين فيها والمتهافتين عليها والمتخرجين منها..

تقول شيليا جراهام الناقدة السينمائية الأمريكية بأن الفرق بين النوم في صحراء الطبيعة وصحراء هوليود أنه في الأولى تنام وفوقك النجوم، وفي الثانية تنام وحولك النجوم.

فهذه الحياة الصاخبة الباذخة التي تحياها هوليود بحيث ترى كل تقليعة يتصورها العقل أو لا يتصورها العقل. وترى الحياة اللاهية لهؤلاء الكواكب الهوليودية الذين يمضون زمانهم في المآدب والحفلات وبعضهم يتفنن في اختيار مناسبات للحفلة.

وهناك هوليود أخرى إلى جانب هوليود العابثة فإن هذه المدينة التي اشتهرت بالمجون تحب العمل المستمر الشاق. طبعاً السياسة التي وضعتها هوليود لنفسها منذ نشأتها بالسيطرة على الجمهور وبأن تقدم لهم ما تريد فإنها تحتاج إلى العمل الدؤوب المستمر والجهد

الشاق تحت عنوان مفاهيمهم الخاصة من أجل الهيمنة على كل العالم وبكافة الأساليب ومهما كانت هذه الأساليب غير أخلاقية.

وكما اشتهرت هوليود بالسمعة السيئة والفجور والعبث وكانت الفضائح فيها بسعر التراب وخاصة بعد أن ورد عليها ٥٠ ألف فتاة يبحثن عن عمل فلم يجدنه فتسكعن في الطرقات.

* * *

○ نماذج النساء الهوليودية:

الكل يظن أن النساء في هوليود جميلات ولكن السياسة الهوليودية لا تشترط الجمال كأساس في اختيار النساء وإن كان لهذا موقعه ومطلبه الكبير في الحالات التي تتطلب الجمال في المورد المطلوب لهذه السياسة، وكانت تركز على الشخصية لأنها لها الأثر الأكبر والأعمق في ترسيخ المفاهيم المطلوبة في عقول المتلقين والمشاهدين وجمهور هوليود.

وترى النساء هناك على ثلاثة أقسام كما قال الكاتب محمد شيخ ديب:

١ - نساء جميلات وينقصهن الروح.

٢ - نساء لهن روح وينقصهن الجمال.

٣ - نساء لا روح لهن ولا جمال.

وكان حظ النساء العبقريات كبيراً بأن استطعن أن يرتفعن من الخمول إلى المجد ومن القاع إلى القمة واستطاعت هذه النساء أن تكتسب الثروة.

حتى أصبحت كل فتاة في أمريكا تحلم بأن تكون كوكب سينما مع العلم أن الفتيات في هوليود يتظاهرن بالسرور والسعادة بينما يلاحظ المدقق في وجوههن كما قال الكاتب بأنهن بائسات شقيات فالممثلة العظيمة شقية لأنها تخشى السقوط والممثلة المبتدئة شقية لأنها ترغب في الارتفاع إلى مستوى الكواكب ولا تستطيع إلا إذا كان عندها عبقرية في جانب ما شديد السلبية على نفسها وأعماقها وأخلاقها وجمهورها لأنها ستوظف تحت سياسة معينة هادفة لمصالح شخصية ذاتية وإن كانت تختص ببلد كامل تحت رحمة سياسيين جبابرة..

وبنات أمريكا معذورات في التهافت على هوليود لأنها استطاعت أن تخلق من الفتيات التافهات عباقرة ومن الرجال الأغبياء فلاسفة ووضعت على أفواه المجانين الحكم والأمثال وجعلت تحيط كواكبها ونجومها بهالات من صور البطولة فهي لا تخرج أفلاماً فقط بل تخرج في الوقت نفسه كواكب ونجوماً.

والسؤال أي نوع من الكواكب والنجوم هي فهل هي كواكب ونجوم مضيئة، أم أنها حارقة للأخضر واليابس؟ ونسي هؤلاء الكواكب والنجوم بأن سرعة الدوران في أرض هوليود أسرع من أي مكان في العالم فالمجد المجنون يلهو بهم ويعبث بحظوظهم ومستقبلهم وكما قال أحد المخرجين: إن قيمة الممثل والممثلة بقيمة روايته الأخيرة فإذا نجحت الرواية ارتفع إيراد الممثل إلى القمة وإذا فشلت سقط رقم إيراده أو ربما أحيل إلى المعاش... أو ربما حتى المعاش لا يناله أو يرمى إليه كما ترمى العظام إلى الكلاب.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء الأصغر	٥
الإهداء الأكبر	٧
المقدمة	٩
قلب يتعذب	١٢
شجاعة الجبناء	١٥
والإيمان هو الشجاعة كلها	٢٢
من تجرأ على النبي ﷺ	٢٤
العالم الهوليودي	٢٥
تشكيل العقدة	٢٥
طفولة هذا العالِم	٢٦
نمو هذا العالم	٢٧
المعاهد الإسلامية	٢٨
العالم المتأله	٢٨
المرأة ونقصان العقل	٣٠
المرأة ونقص الحظوظ	٣١
ممارسة السيادة	٣٢
التمادي في الظلم	٣٣
وجوهه المتعددة	٣٤
آيتهم بالتطبيق	٣٦
الإسلام واحترام عطاء المرأة	٣٦
الماديات وسيلة	٣٧

المرأة والأجرة ٣٨
الحقوق للنساء واحترامها ٤١
النتيجة للتجرؤ ٤٢
البحث عن أمة لا إله إلا الله ٤٣
أبحث عن أمة لا إله إلا الله! ٤٣
اقتباس الأساليب الغربية ٤٧
النمو الصادق ٤٨
من عرف نفسه فقد عرف ربه ٤٩
إله التجار ٥٠
إله الصنّاع والحرفيين ٥٤
هندسة النحل ٥٥
حركة الإنتاج ٥٦
إله العلماء والمثقفين ٥٩
العلماء وسبل النهضة ٦١
إله السلطان والسلاطين ٧١
إله المتجلببين بجلباب الدين ٧٥
الزنى وصانعوه ٨٤
الشعوب القديمة والزنى ٨٤
رجال الدين الأقدمين ٨٥
حق الآلهة ٨٥
تطور الزنى ٨٦
النصرانية والزنى ٨٦
المسيح والزنى ٨٧
اليهود والزنى ٨٧
الإسلام والزنى ٨٩

القرآن والزنى ٨٩
الأحاديث الشريفة والزنى ٩٠
الإكراه على الزنى ٩٢
نتيجة الزنى ٩٤
صفات الزنى ٩٥
محاربة الزنى ٩٦
العصر النبوي ومحاربة الزنى ٩٧
منفعة العقوبات ٩٧
معالجة البغاء بعد النبي ﷺ ٩٩
أسباب الزنى ١٠٠
الإغراء ١٠١
جايشان ١٠١
النساء والزنى ١٠٢
رويس ١٠٥
دراسات مهمة ١٠٥
الإصلاح في الإسلام ١٠٧
جلال المرأة وقيمتها ١١٢
جلال المرأة وسعادتها ١١٢
ترك المال والشهرة ١١٨
جلال المرأة والعلم ١١٨
جلال المرأة وأنوثتها ١٢٤
برود المرأة الجنسي ١٢٥
المرأة والعرفان ١٣٠
الروحانية اليوم ١٣٢
زهد المرأة وعرفانها في الإسلام ١٣٧

الصحابية الأولى ١٣٧
تبتل فاطمة الزهراء عليها السلام ١٤٢
مناقبها وكراماتها ١٤٨
خريجات العرفان من مدرسة الزهراء ١٥٣
الإنحسار الإسلامي ١٦٣
هوليود السينما الأمريكية ١٧٥
بدايات السينما ١٧٦
شعار هوليود ١٧٧
الإتجاه العملي لهوليود امريكا ١٧٨
النماذج الشخصية ١٧٩
وقاحة السينمائيين الهوليوديين ١٧٩
أفلام الرعب ١٨٠
منع الأفلام التوعوية ١٨٠
التقنين الهوليودي للتفاعل السينمائي ١٨٠
تسييس السينما الهوليودية ١٨١
الصهيونية السينمائية ١٨٢
تكنولوجيا الأسياد ١٨٢
تكنولوجيا العبيد ١٨٣
هوليود النجوم ١٨٤
نماذج النساء الهوليودية ١٨٥
الفهرس ١٨٧

اتقو الله في النساء

اللهم اجعلنا من المتقين حقاً قولاً وفعلاً وسلوكاً

اللهم اجعلنا ممن نساهم ونسعى إلى رقيّ النساء كل النساء

للكمال الأنساني ولا نسعى بهم إلى الذل الشيطان والعياذ

بالله لنكون فعلاً امة لا اله الا الله وحده وحده نصر عبده

دار المحجة البيضاء
الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال
هاتف ٠٣/٦٨٧٦٧٩ - تلفاكس ٠١/٥٥٩٨٤٧
ص.ب ١٤/٥٤٧٩ - E-mail almahaja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com